روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جدًا!!

الغزاة

124

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٠٢-٢٨٢٧٠

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - رهن الاعتقال ..

انطلقت زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماق القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة والنصف صباحًا ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا يمكننى أن أصدِّق هذا .. لا يمكننى أن أصدِّق أن ينتهى الأمر بنا إلى هذا .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه بدوره ، فى مرارة بلا حدود ، وهو يتمتم :

- ولا حتى فى أسوأ كوابيسنا ، وأكثرها عنفًا وبشاعة .

ثم بدا وكأن كلماته تقطر دمعًا ، وهو يستطرد فى ألم :

- ولكننا بدأنا هذا وفتحنا بابًا من أبواب الجحيم ، ولا بد أن تنالنا بعض لفحاته الملتهبة .

تراجع القائد الأعلى ، ليسند رأسه على جدار

الزنزانة الاحتياطية الصغيرة ، التى تمَ اعتقاله مع الدكتور (ناظم) فيها ، بأمر وزير الدفاع ، وقال فى أسى وأسف :

- نعم .. نحن بدأنا هذا .

قالها ، وذاكرته تنطلق إلى ما يقرب من عام مضى ، عندما توصّل الدكتور (وائل شوقى) إلى كشفه المدهش ، الخاص بالانتقال من عالم إلى آخر ، عبر فجوات من الطاقة ، تنشأ عند نقاط التماس بين كل عالمَين ..

ثم كانت النتيجة المذهلة للتجارب ، التى أجريت لإثبات نظريته ..

فجوة حقيقية بين عالمين ..

عالمنا ..

وعالم الظلال ..

الرهيبة ..

وكان من الممكن أن يسير كل شىء ، وفقًا للنظم والقواعد العلمية الصحيحة ؛ بالنسبة لأى كشف علمى جديد ..

مهما بلغت خطورته ..

لولا وزير الدفاع ..

وما اقترحه وزير الدفاع ..

ولأنه والدكتور (ناظم) قد استمعا إليه جيدًا ..

ولأنه نجح فى تغليف وجهة نظره بغلاف أنيق جميل ، حلو المذاق ..

لكل هذا ، تورّط الجميع فى أمر ، يخالف النظام السياسى والدستور والقانون . المعترف به فى (مصر) ..

وكان هذا يحتم المزيد من الخطأ ..

ومن التورّط ..

وراحت أبحاث الدكتور (وائل) تمضى فى سرية مطلقة ، لا يعلم بها حتى علماء مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

والأكثر خطورة ، أن القيادة السياسية نفسها لم تدر شيئًا عن الأمر ..

كل القيادة السياسية ..

من أصغر عضو فى مجلس الشعب ..

وحتى رئيس الجمهورية نفسه ..

أما بالنسبة للقيادات العسكرية ، فعلى الرغم من أن التمويل الرئيسى لأبحاث الدكتور (وائل) كان يتم

من خلال ميزانية الأبحاث العسكرية ، إلا أن سر تلك الأبحاث اقتصر على عدد محدود للغاية ، فى المؤسسة العسكرية ..

عدد لايتجاوز أصابع اليد الواحدة ..

وكان من الممكن أن يستمر الأمر كذلك ، حتى يبلغ المشروع نهايته ..

لولا ما حدث للدكتور (وائل) وفيلته ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ..

فخلال إحدى تجارب الاتصال بين العالمين ، حدث خطأ ما ..

وانفجار عنيف ..

ومع الانفجار ، بدأت المتاعب كلها ..

الدكتور (وائل) لقى مصرعه ..

سكان الحى كلهم رأوا قوس اللهب ، الذى يحيط بالفجوة بين العالمين ..

ثم وصل (نور) وفريقه ..

وقبل أن يستقر بهم الأمر ، أو يتوصلوا إلى حل اللغز ، فوجئوا بالعالم كله ينقلب على رءوسهم ..

وخاصة مع وصول العقيد (باسل بهجت) ، وفرقة القوات الخاصة التابعة له ..

لقد حاصروا المدينة ، وفرضوا عليها حظر التجوال ، وأحاطوها بقبة من الطاقة الكهرومغنطيسية ، لمنع كل الاتصالات السلكية واللاسلكية بها ، ولمنع أى كائن كان من مغادرتها ، وخاصة تلك الظلال الرهيبة ، التى انطلقت من الفجوة ، وراحت تطلق الرعب .. كل الرعب فى المدينة ..

جثث القتلى تنهض ، وتتحرك ..

عيونها تشتعل بلهب أحمر مخيف ..

الأحياء تسيطر عليهم قوى عجيبة ..

تسيطر على عقولهم ..

وإدراكهم ..

وكيانهم ..

ومهاراتهم ..

وحتى ذاكرتهم ..

وكان من الطبيعى ، فى ظروف كهذه ، أن يتعاون العقيد (باسل) ، مع (نور) وفريقه ، للتصدى لهذا الأمر ومقاومته ، والتغلب على تلك الظلال ..

ولكن هذا لم يحدث أبدًا ..

فعلى العكس تمامًا ، فوجئ (نور) وفريقه بموقف عدوانى عجيب ، من العقيد (باسل) ..

بل وبأمر من إدارة المخابرات العلمية نفسها بإعفائهم من المهمة ..

ثم بحكم من جهة ما بإعدامهم ..

وهنا لم تعد حربهم ضد ظلال العالم الآخر فحسب ..

بل وضد جيشهم ..

وإدارتهم نفسها ..

وكانت حربًا بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

أما رئيس الجمهورية نفسه ، فقد كان يمر بأسوأ لحظات حياته ، وهو يدرك جيدًا أن أقوى ثلاثة رجال فى دولته يخفون عنه أمرًا ما ..

أو أنهم يتآمرون ضده ..

وضد أمن (مصر) ..

وأمانها ..

وكوسيلة لحسم الأمر ، أرسل الرئيس مستشاره الأمنى الخاص ، ورجل المخابرات الفذ السابق (أمجد صبحى) ، إلى مدينة (السادس من أكتوبر) ؛ ليكشف ما يحدث هناك ، ويبلغه بالنتائج ..

ولكن حتى (أمجد صبحى) لم يسلم من المؤامرة ..

فعندما كشف الأمر ، قام (باسل) بإلقاء القبض عليه ، ووضعه رهن الاعتقال ..

وفى الوقت الذى راحت (مشيرة محفوظ) ، زوجة (أكرم) عضو فريق (نور) ، ورئيسة تحرير جريدة (أنباء الفيديو) تقاتل لمعرفة الحقيقة ، كان (أمجد صبحى) يقاتل للفكاك من أسره ، واللحاق بها فى ذلك الركب ..

ولم تتوقف الظلال طوال الوقت ، عن احتلال المزيد والمزيد من الأجساد ..

لقد احتلت جسد (نشوى) ..

والصبى العبقرى (هيثم) ، الذى التقط فيلمًا كاملاً لكل ما حدث ، فى فيلا الدكتور (وائل شوقى) ..

وحاولت احتلال جسد (أمجد) نفسه ..

ولكنها فشلت ..

وكانت المرة الوحيدة ، التى تفشل فيها تلك الظلال ، فى احتلال جسد بشرى ..

ولا أحد يدرى لماذا حدث هذا !

حتى (أمجد) نفسه ..

الشىء الوحيد الذى أدركه ، هو أن تلك الظلال ،

عندما عجزت عن احتلال جسده ، قررت أن تنتقل إلى الخطوة التالية ..

قتله ..

أما (نور) وفريقه ، فقد ساعدتهم الظلال ، لسبب ما ، على العودة إلى فيلا الدكتور (وائل) ؛ لكشف خزانة تحوى عصا إليكترونية ، هى السبيل الوحيد لفتح الفجوة بين العالمين ..

ولكن السؤال ، الذى أثار عقل (نور) ، وبعث توتره حتى النخاع ، هو لماذا ؟!

لماذا عاونتهم الظلال على هذا ؟!

لماذا جلبتهم إلى هنا ؟!

وقفز الجواب المخيف إلى ذهنه ..

الظلال تحتاج إلى من يفتح الفجوة بين العالمين ، ليمنحها فرصة الانقضاض على عالم ..

وغزوه ..

وأمام عينيه ، وعلى نحو عجيب مخيف ، التقطت ابنته تلك العصا الإليكترونية نصف الشفافة ، من خزانة سرية بالجدار ، وعيناها تشتعلان بذلك الوهج الأحمر المخيف ..

ثم ضغطت تلك الكرة فى مؤخرتها ..

ودوت فرقعة مكتومة فى المكان ..

ثم تألق قوس اللهب كله ..

وانفتحت الفجوة بين العالمين ..

وعبرها ، رأى (نور) و(سلوى) ذلك العالم الرهيب ، بثلوجه المائلة للزرقة ، وسمائه البنفسجية ، ذات الشمس الحمراء الكبيرة ، والعواصف الجليدية العاتية ..

ووسط هذا العالم ، بدت عشرات .. بل مئات الظلال ، التى اندفعت بكل سرعتها ، لعبور الفجوة ، و ...

وغزو العالم ..

عالمنا ..

ومرة أخرى ، أطلق القائد الأعلى ، من أعمق أعماق كيانه ، زفرة كالحمم الثائرة ، على الرغم من أنه مازال يجهل معظم ما حدث فى المدينة المنكوبة ، فى الآونة الأخيرة ..

ولكن ربما أطلقها لأنه يدرك ويعيش ما حدث خارجها ..

وفى قلب العاصمة ..

فمع تصاعد الأحداث وتوترها ، استدعى رئيس الجمهورية قائد الحرس الجمهورى ، بعد أن تجاوزت الساعة الثالثة صباحًا ، ليسند إليه مهمة اعتقال الثلاثة الكبار ..

وزير الدفاع ..

ورئيس مركز الأبحاث ..

والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

وعندما أدرك وزير الدفاع هذا ، أو شكَّ فى حدوثه ، قرَّر المضى فى الأمر أكثر وأكثر ..

مهما كانت العواقب ..

أو العقبات ..

وكان أن اتخذ أخطر قرار ، يمكن أن يتخذه وزير دفاع ، فى أية دولة من دول العالم ..

الانقلاب ..

وعندما اعترض الدكتور (ناظم) ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية على هذا ، واستنكراه بشدة ، بدأ الوزير انقلابه بالفعل ..

بدأه بالسيطرة على مقر إدارة المخابرات العلمية ، واحتلاله ..

واعتقال الرجلين على الفور ..

ثم انتقل إلى الخطوة التالية ، الأكثر خطورة ، عند وصول قائد الحرس الجمهورى ، اللواء (سليمان حازم) ..

لقد اعتقله أيضًا ، وهو يعلم أنه موفد من رئيس الجمهورية شخصيًّا ..

وكان هذا يعنى أنه لم يعد هناك مجال للتراجع ..

وأن الأمور ستمضى حتمًا فى سبيلها ..

إلى الأسوأ(*) ..

هذا ما كان يشعر به الرجلان ؛ فى زنزانتهما الصغيرة ، وما جعل الدكتور (ناظم) يهتف ، بكل حنق الدنيا :

ـ كم أتمنى لو نستيقظ ، فنجد كل هذا مجرَّد كابوس سخيف ، لا صلة له بالواقع !!

غمغم القائد الأعلى :

ـ هذا لو قُدِّر لنا أن نستيقظ .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى : (المجهول) ، و(الظلال الرهيبة) ، و(دائرة الظل) .. الأجزاء أرقام (١٢١) ، (١٢٢) ، (١٢٣) .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ لو استيقظنا أحياء ، فربّما يعنى هذا أن اعتقال وزير الدفاع لنا هو أفضل ما حدث ، فى حياتنا كلها .

التفت إليه القائد الأعلى فى دهشة ، وحدّق فى وجهه لحظة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ أهو انهيار عصبى يا رجل ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى حزم :

ـ بل تفكير علمى منهجى ، سليم للغاية أيها القائد . إننى أحاول مزج السياسة بالعلم فحسب .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

ـ وكيف هذا بالله عليك ؟!

اعتدل الدكتور (ناظم) فى مجلسه ، قائلاً :

ـ ما فعله الوزير ، حتى هذه اللحظة ، أمر لا يمكن التراجع عنه ، أو إخفاء آثاره مستقبلاً ، وهو يعنى أنه مضطر للمضى فى الأمر ، وخوض موضوع الانقلاب هذا ، حتى الرمق الأخير ..

غمغم القائد الأعلى ، وهو يتابعه فى اهتمام :

ـ بالتأكيد .

قال الدكتور (ناظم) :

ـ وكأى انقلاب عبر التاريخ ، يمكن أن ينتهى الأمر بنجاحه أو فشله ، ولو نظرنا إلى الأمر من زاوية علمية بحتة ، فسنجد أن احتمالات فشله تعادل ضعفى احتمال نجاحه .

قال القائد الأعلى فى توتر زائد :

ـ وزير الدفاع يمتلك الجيش كله .

أشار الدكتور (ناظم) بسبّابته ، قائلاً :

ـ هذا لا يعنى أنه يستطيع تحريكه ، فى أى اتجاه يشاء ، فرجال الجيش ليسوا من طينة أخرى ، بخلاف أى مواطن مصرى عادى .. إنهم سيطيعون أوامر قيادتكم ، ولو تطلّب هذا إلقاء أنفسهم فى فوهة بركان ثائر ، لو أن هذا من أجل الوطن ، أو للدفاع عنه ، ضد أى محتلّ غاصب ، أو عدو يهدّد أمنه وأمانه ، ولكن الأمر سيختلف كثيرًا ، إذا ما كانت هذه الأوامر موجّهة ضد نظام الحكم ، أو القيادة الشرعية للبلاد ، خاصة وأن الجميع يعلمون أن الرئيس رجل صالح ،

شريف ، نظيف ، لم يخرج فى حياته كلها عن الدستور والقانون والشرعية ، ولم ينتهك الحريات أو الديموقراطية ، أو أمن المواطن العادى قط .

مال القائد الأعلى نحوه فى اهتمام ، متسائلاً فى لهفة :

- إذن فأنت تتوقَّع فشل الانقلاب .

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- لست أنا من يتوقَّع هذا ، ولكنها الحسابات العلمية والمنطقية .

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى خبث :

- والآن سل نفسك .. ما الحالة التى سيجدنا عليها الرئيس ، عندما يفشل الانقلاب ؟!

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وتألَّقتا على نحو يشف عن الفهم ، وهو يجيب :

- رهن الاعتقال .

تراجع الدكتور (ناظم) ، هاتفًا :

- بالضبط .. سيجدنا رهن الاعتقال ، بواسطة المجموعة التى قامت بالانقلاب ، ولسنا ضمن أفرادها ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

هتف القائد الأعلى فى حماس :

- أننا ضد الانقلاب بالطبع .

أجابه الدكتور (ناظم) ، فى حماس مماثل :

- ليس هذا فحسب ، ولكنه سيعنى أنه لا صلة لنا بالأمر كله منذ البداية .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتساءل :

- هل تعتقد هذا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- هذا سيتوقَّف على قدرتنا على إقناع الرئيس بالأمر حينذاك ، خاصة وأنه لا يوجد سوى دليل واحد ، على اشتراكنا فى الأمر .

سأله القائد ، وقد عاوده ذلك الشعور بالقلق :

- أى دليل ؟!

أجابه ، مشيرًا بيده إشارة مبهمة :

- تلك الظلال ، التى نحتفظ بها هنا .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى فى شدة ، وهو يقول :

- وما الذى يمكن أن نفعله ، لإخفاء أمر كهذا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم صارم :

- نتخلص منها ..

حدّق القائد الأعلى فى وجهه لحظة ، قبل أن يتمتم فى عصبية :

- بالتأكيد .. الأمور التى تُبنى على خطأ ، لا يمكن أن تنتهى سوى بمزيد من الأخطاء .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفتح باب الزنزانة الاحتياطية ، وظهر على عتبته اثنان من جنود الوزير ، وهما يدفعان شخصًا ما داخلها ..

وما إن وقع بصرا الرجلين عليه ، حتى اتسعت عيونهما فى دهشة ، وأحدهما يهتف مأخوذًا :

- ربّاه ! اللواء (سليمان) ..

وبمنتهى العنف ، سقط قلباهما بين أقدامهما ..

فسقوط قائد الحرس الجمهورى فى الأسر ، وانضمامه إليهما فى زنزانة الطوارئ ، يعنى أن كل حديثهما ونظرياتهما عن فشل الانقلاب ، لم يعد لها أدنى مغنى ..

لقد هزم الوزير فرق الحرس الجمهورى ..

وهذا يعنى أن العاصمة كلها ، بما فيها رئيس الجمهورية نفسه ، قد أصبحت ملكًا للوزير وجيشه ..

وأن الانقلاب العسكرى قد نجح فى ضربته الأولى .. وبكل جدارة ..

* * *

على الرغم من الحياة الحافلة ، التى قضاها (أمجد صبحى) ، فى عالم المخابرات ، ومواجهته لكل ما يمكن ، أو لا يمكن تخيّله من مخاطر ، إلا أن ما يراه أمامه ، منذ بدأت تلك الأحداث الرهيبة ، لم يخطر على باله قط ..

لقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى جندى الصاعقة المصاب ، الذى اخترق الظلّ جسدهِ ، واحتلّه ، وجعله ينهض واقفًا على قدميه ، متجاهلًا إصابة ساقه ، ويتطلّع إليه بتلك العينين المشتعلتين ، وهو يرفع مدفعه الليزرى ، ويصوّبه إليه ، و ....

وبحركة غريزية ، قفز (أمجد) جانبًا ..

وفى نفس اللحظة ، انطلقت أشعة الموت ، من مدفع الجندى ..

ولكن العجيب ، أن الأشعة لم تنطلق باتجاه البقعة ، التى كان يقف عندها (أمجد) بالضبط ..

وهذا ما لاحظه (أمجد) نفسه ، عندما وثب مبتعدًا ..

لقد لاحظ أن الجندى قد أطلق أشعته على مسافة ربع المتر منه ، وكأنما لم يكن يرغب فعليًا فى إصابته ..

ولقد أدرك (أمجد) هذا ، فى جزء من الثانية ، وتساءل فى الجزء الثانى عن سبب هذا التجاوز ..

وقبل أن تكتمل الثانية ، كان قد فهم اللعبة كلها ..

فهمها ، عندما لمح ذلك الظلّ الثانى ، وهو يندفع نحوه ..

لقد كانت محاولة لتشتيت ذهنه وإرادته فحسب ، بمواجهة عنيفة زائفة ، حتى ينجح الظلّ الآخر فى الانقضاض عليه ، واحتلال جسده ..

وبسرعة مذهلة ، لم تتوقعها الظلال نفسها ، دار (أمجد) حول نفسه ، واستعدّ لمواجهة الظلّ الآخر ، هاتفًا :

ـ لن تفلح أيها الوغد .

كان ذلك الظلّ يشبه حرملة سوداء كبيرة ، تدفعها الرياح فى الهواء ، وهو يدور حول (أمجد) بسرعة خرافية ، ثم يندفع نحو مؤخرة عنقه كالسهم ..

وصرخ (أمجد) ثانية ، وهو يستنفر إرادته كلها :

ـ لن تفلح .

كانت المواجهة بالنسبة إليه عجيبة للغاية ؛ فهو لا يواجه خصمًا تقليديًا ، يمكنه الاشتباك معه ، ومقاتلته بكل قوته ..

بل يواجه ظلالاً ..

مجرّد ظلال ..

وبكل قوته ، أغلق عينيه ، وأطلق كل الطاقة الكامنة فى أعماقه ، و ...

وارتطم ذلك الظلّ بمؤخرة عنقه فى قوة ، ثم ارتدّ عنها فى عنف ..

وعاد ينقضّ ..

ويرتدّ ..

وينقضّ ..

وفى هذه المرة ، قفزت إلى رأس (أمجد) فكرة عجيبة ..

صحيح أن خصمه مجرّد ظلّ ..

ولكنه يشعر بارتطامه بمؤخرة عنقه ..

يشعر بذلك الارتطام جيدًا ، وكأن أحدهم قد قذفه بكتلة هلامية ، من مادة تكاد تنتقل ، من الحالة السائلة إلى الصلبة ..

أو شبه الصلبة ..

وهذا يعنى أن له قوامًا ما ..

وليس مجرَّد ظل عادى ..

وبحركة سريعة مدهشة ، دارت يد (أمجد) حول عنقه ، و ...

وقبضت على ذلك الظلّ ..

وكانت لحظة عجيبة ..

إلى أقصى حد ..

لقد شعر (أمجد) وكأن أصابعه تغوص فى مادة رخوة كالإسفنج ، لها قوام هلامى ضعيف ، ولكنها متماسكة إلى حد مدهش ..

وانغرست أصابعه فى تلك المادة ..

وأمسكت بها فى قوة ..

بل بمنتهى القوة ..

وانتفض الظلّ فى عنف ..

وانقلبت الأدوار فى لحظة واحدة ..

فبدلاً من أن يقاتل وينقضّ ، محاولاً السيطرة على خصمه ، راح يقاوم فى استماتة ، فى محاولة للفرار منه ..

وبشعور غامر بالظفر ، أطلق (أمجد) ضحكة ساخرة ، هاتفًا :

ـ آه .. يبدو أنك لست منيعًا ، كما كنت تتصوَّر أيها الوغد .

قالها ، وهو يجذبه من خلف ظهره ، ليضعه فى مواجهته ويغرس أصابع يده الثانية فى جسده ، مستطردًا :

ـ ومن السهل أن تخضع لسيطرتنا أيضًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه الظلّ ، الذى يواجهه تمامًا هذه المرة ..

فمن تلك المسافة القريبة ، لم يبد ظلاً مبهمًا ، مصمتًا ، كما كان يبدو من بعيد ..

لقد بدت ملامحه واضحة جلية ، كما لو أنها من صنع فنان دقيق ، ينسج بخيوط سوداء ، على رداء أسود ..

والواقع أنها لم تكن ملامح مخيفة على الإطلاق ، على الرغم من السواد ، الذى يحيط بها من كل جانب ..

لقد بدت لـ (أمجد) ملامح جميلة ، متناسقة ، تشبه كثيرًا ملامح البشر ، باستثناء العينين الكبيرتين ، والأنف الصغير للغاية ..



لقد بدت لـ (أمجد) ملامح جميلة ، متناسقة ، تشبه كثيرًا ملامح البشر ، باستثناء العينين الكبيرتين ، والأنف الصغير للغاية ..

وكانت تلك الملامح تحمل الذعر ..

كل الذعر ..

وفى دهشة ، تمتم (أمجد) :

ـ رباه ! من أنتم بالضبط ؟!

نطقها ، وأصابعه ترتخى حول الظلّ ، الذى تراجع فى سرعة ، وتعلق فى الهواء ، على مسافة ثلاثة أمتار من (أمجد) ، وراح يتطلع إليه بضع لحظات ، و(أمجد) يهتف فى توتر بالغ :

ـ ما الذى تفعلونه فى عالمنا ؟!

ظلّ الظلّ صامتًا ، بضع لحظات أخرى ، ثم لم يلبث أن اندفع ، ليغوص فى جسد جندى الصاعقة ، الذى قتله الظلّ الآخر منذ قليل ..

ولم يحرك (أمجد) ساكنًا ..

حتى عندما نهض ذلك الجندى ، والتقط مدفعه ، وتوهجت عيناه بتلك النيران الحمراء المخيفة ، وهو يقف إلى جوار زميله المصاب ..

وفى توتر ، ردد (أمجد) مرة أخرى :

ـ من أنتم ؟!

أتاه الجواب بصوت عميق مخيف ، خرج من بين شفتى الجندى المصاب ، وهو يقول :

ـ بل مَنْ أنتم ؟!

وفى اللحظة نفسها ، ارتفعت فوهة مدفعه الليزرى .. وارتفعت فوهة مدفع زميله ..

وانعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ..

ولثوان ، التقت عيناه بعيون الرجلين ، التى بدت أشبه بجمرات مشتعلة ، من قلب الجحيم ..

ثم هتف (أمجد) فى غضب :

ـ لن تغزوا عالمنا أبدًا .

ومع هتافه ، ضغط الجنديان على زنادى مدفعيهما .. وانطلقت الأشعة القاتلة مرة أخرى ..

وبعنف ..

* * *



٢ ـ الغـــزو ..

« هل تعتقدين أن (هيثم) بخير ؟! »

ألقى الأستاذ (حسن) السؤال على (مشيرة) ، بصوت حمل كل انفعالاته وتوتره ، وهما يتعاونان على إخفاء كلّ الأسلحة والمعدات ، التى جمعاها من رجال الصاعقة الفاقدى الوعى ، فالتفتت إليه فى بطء ، مجيبة :

ـ ما دام (نور) قال إنه بخير ، فهو كذلك حتمًا .

هزَّ رأسه ، ومسح العرق المتصبِّب على جبهته ، وهو يقول فى توتر :

ـ ولكنك لم ترَ عينيه ، عندما كان يعدو بين الأشجار .. لقد بدتا لى أشبه بجمرتين ملتهبتين .

وارتجف صوته ، على نحو يوحى بأنه يبذل جهدًا خرافيًا لمنع دموعه ، وهو يتابع :

ـ يا للصبى المسكين !

صمتت بضع لحظات ؛ لتمنحه فرصة التحكُّم فى انفعالاته ، قبل أن تقول :

ـ هل تعتقد أنهم قد احتلوا جسده ؟!
امتقع وجهه ، وهو يجيب :
ـ هذا ما يبدو ..
سألته ، وقد بدأ صوتها يرتجف أيضًا :
ـ وهل سيحتلونه إلى الأبد ؟!
هزَّ رأسه ، مغمغمًا :
ـ الله (سبحانه وتعالى) وحده أعلم .. إننا لم نعلم ما الذى فعلته تلك الظلال بالآخرين ، حتى يمكننا استنتاج ما ستفعله بذلك المسكين !
شحب وجهها ، وعقلها يتصوَّر نهايات مفجعة ، ونتائج مخيفة ، و ...
وفجأة ، دوَت تلك الفرقعة المكتومة ..
واستدارت مع الأستاذ (حسن) فى سرعة شديدة ، نحو مصدرها ..
واتسعت عيونهما عن آخرها ، فى رعب هائل ، وهما يحدقان فى قوس اللهب ، الذى تكوَّن حول منتصف فيلا الدكتور (وائل شوقى) ..
وهبَّت فى وجهيهما رياح باردة كالثلج ، على نحو جعل (مشيرة) تهتف ، بكل ذعر الدنيا ورعبها :
ـ ربَّاه ! لقد عادوا .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان (نور) ينتزع نفسه من سقطته انتزاعًا ، ويندفع نحو ابنته ، هاتفًا :
ـ لا تفعليها يا (نشوى) .. لا تسمحى لهم بهذا .
كانت معلوماته السابقة تشير إلى وجود وسيلة واحدة لإغلاق الفجوة بين العالمين ، ومنع الغزو القادم ..
أن يفعل نفس ما فعله (رمزى) ، فى المرة السابقة ..
يحطم تلك العصا ..
وبأى ثمن ..
وبكل قوته ، انقضَّ على العصا الإليكترونية نصف الشفافة ، محاولاً انتزاعها من يد ابنته ، قبل أن تعبر تلك الظلال الفجوة ..
ولكن (نشوى) تحرَّكت فى خفة مذهلة ، تفوق قدراتها البشرية بخمس مرات على الأقل ، فأبعدت العصا عن متناول يده ، وصاحت به بصوت مخيف ، وهى تلطمه مرة أخرى فى صدره :
ـ قلت : ابتعد .

كانت اللطمة أشبه بقنبلة مكتومة هذه المرة ، انتزعته من مكانه ، ورفعته مترين عن الأرض ، وهى تدفعه نحو الجدار ، ليرتطم به بقوة وعنف ، ثم يسقط أرضًا ، و(سلوى) تندفع نحوه ، صارخة فى لوعة :

ـ (نور) ! يا إلهى ! (نور) !

كان (نور) يشعر بالآم لا حصر لها ، فى كل عظمة بجسده ، ولقد أخذ يسعل فى شدة ، مع آلام صدره المبرحة ، وهو يحاول النهوض ، فى حين واصلت الظلال اندفاعها نحو الفجوة ، و(نور) يهتف فى ألم :

ـ لا بد من منعهم .. لا بد ..

شهقت (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ ربّاه ! لقد استجابت الأمور لهتافك يا (نور) .

رفع عينيه فى صعوبة إلى الفجوة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما وقع بصره على تلك الظلال ، وقد توقّفت عند الفجوة ، وراحت تضرب الفراغ بذراعيها ، وكأنها تعجز عن اختراقها ، وغمغم فى توتر :

ـ آه .. بالطبع .. هناك خطأ ما .. شىء لم يكتمل بعد .. لهذا كانوا يحتاجون إلى (نشوى) ..

ومع كلماته ، استدارت (نشوى) فى بطء ، تلقى نظرة على الظلال ، العاجزة عن عبور الفجوة ، وشفتاها تردّدان فى شرود ، وكأنها تنقل كلمات شخص آخر :

ـ إننا نعتمد عليك ... نعتمد عليك تمامًا .

ثم استدارت ، واتجهت لجهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وجذبت من قاعدة الكرة السوداء ، فى نهاية العصا الإليكترونية سلكين رفيعين ، راحت توصلهما بالكمبيوتر ، فى اهتمام بالغ ، فدفع (نور) (سلوى) جانبًا ، وهو ينهض فى صعوبة ، مغمغمًا :

ـ لا بد من منعها .. لا بد من منعها بأى ثمن .

أمسكت (سلوى) يده ، هاتفة :

ـ لا يا (نور) .. لا تؤذ ابنتنا .

التقط (نور) مدفعه الليزرى ، وهو يقول فى حزم :

ـ العالم فى خطر يا (سلوى) .. العالم كله فى خطر .

لم تبال (نشوى) بما يحدث ، وأصابعها تعمل فى سرعة ؛ لفك شفرة خاصة بالعصا ، التى ارتسمت على شاشة الكمبيوتر الصغير ، وراحت تدور بمنظور

ثلاثى الأبعاد ، ولونها يتحول من الأصفر إلى الأرجوانى ، فالأزرق ، ثم تعود مرة أخرى إلى الأصفر ..

وفى حزم ، صوب (نور) مدفعه إلى كمبيوتر (نشوى) ، قائلا :

ـ لو أكملت عملها ، ستكتمل الفجوة ، وتصبح كل الظلال قادرة على اختراقها ، وفقد العالم حريته مرة أخرى(*) ، وربما للأبد يا (سلوى) .

امتقع وجه (سلوى) ، وهى تتمتم :

ـ إنها ابنتنا يا (نور) .. ابنتنا .

اغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يتمتم :

ـ وهو عالمنا يا (سلوى) .

كان يعلم ، وهو يصوب مدفعه إلى الكمبيوتر ، أن انفجاره قد يؤذى ابنته بشدة ..

ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة ، لمنع اكتمال الفجوة ..

واكتمال الغزو ..

وبكل الحزم ، تحركت سبابة (نور) على زناد مدفعه الليزرى ، و ...

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وفجأة ، اندفع ذلك الظل إلى المكان ...

ظل هائل ، مخيف ، يختلف عن كل الظلال الأخرى ..

وصرخت (سلوى) فى رعب ..

واستدار (نور) بكيانه كله ليواجهه ..

وانطلقت أشعة مدفعه الليزرى ، نحو الظل الهائل ، وهو يتراجع فى عنف ، ليرتطم بالجدار مرة أخرى فى قوة ..

ولم تلتفت (نشوى) إلى هذا أيضًا ..

لقد واصلت عملها فى سرعة ، لإكمال المعادلة الناقصة ، فى عمل العصا الإليكترونية الثانية المتطورة ، وكأن هذا هو الشىء الوحيد الذى يعنيها فى الدنيا كلها ..

ولقد بدأت العصا الإليكترونية تتألق فى بطء ..

ثم زاد تألقها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع ازدياد تألقها ، بدا وكأن قدرة تلك الظلال ، على عبور الفجوة تتضاعف ، بحيث اخترقت أيديهم الفراغ ، وراحت أجسادهم تجاهد للعبور ...

وقفز (نور) من مكانه ، على الرغم من كل ما يتفجر فى جسده من آلام ، ودار الظل حوله ، فى سرعة مدهشة ، وأطلقت (سلوى) صرخة رعب هائلة ، عندما رأت ذلك الظل ينقض على مؤخرة عنقه ، وأدرك (نور) من صرختها ما يحدث خلف ظهره ، ولكنه لم يبال ، وهو يخفض جسده فى سرعة ، ويرفع فوهة مدفعه ..

وانتفض جسده فى عنف ، عندما اخترق ذلك الظل الهائل مؤخرة عنقه ..

ولكن سبابته اعتصرت زناد مدفعه ، فى اللحظة الأخيرة ..

وانطلقت أشعة الليزر ..

نحو كمبيوتر (نشوى) مباشرة ..

وصرخت (سلوى) مرة أخرى ، فى رعب مزدوج ، عندما شاهدت ذلك الظل يغوص فى جسد زوجها ، فى نفس اللحظة التى انفجر فيها كمبيوتر ابنتها ..

ومع الانفجار ، أطلقت (نشوى) صرخة أخرى ، وارتفع ذراعاها لحماية وجهها ، وجسدها يقفز من مكانه ، ويعبر أمام الفجوة ، التى تألقت مرة أخرى

فى عنف ، وانطلق منها صوت رهيب ، أشبه بصوت بركان ثائر ، يصب حممه الملتهبة فى قلب البحر ، بعد سنوات من الصمت والخمود ..

وارتطم جسد (نشوى) بذلك الجدار ، الذى كان يحوى الخزانة السرية ، ثم ارتد فى عنف ، لتسقط فوق العصا الإليكترونية ، فى نفس اللحظة التى صدرت فيها فرقعة مكتومة أخرى ، من قوس اللهب ، قبل أن يتلاشى دفعة واحدة ، ويخيم الظلام على المكان كله ..

ولثانية أو ثانيتين ، امتزج الظلام بصمت مطبق ، وكأنما خلا المكان كله من أى أثر للحياة ..

ثم انطلقت صرخة (سلوى) ..

صرخة مذعورة ، ملتاعة ، هلعة ، رددها الحى الراقى كله ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها الأستاذ (حسن) مع (مشيرة) إلى الفيلا ، حاملين مصابيحهما اليدوية الكبيرة ، التى استوليا عليها من جنود الصاعقة الفاقدى الوعى ، والأخيرة تهتف فى ذعر :

ـ ماذا حدث ؟!

صرخت (سلوى) مرة أخرى :

ـ ابنتى .. ابنتى وزوجى يا (مشيرة) ! يا ربى .. ابنتى وزوجى !

أدارت (مشيرة) مصباحها نحـو داخـل الفيـلا ، وشهقت فى ارتياع ، عندما رأت (نشوى) ملقاة على وجهها أرضًا ، و(نـور) ملقى على مسافة متـرين فحسب منها ، أما الأستاذ (حسن) ، فقد هتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

واندفع يفحص (نشوى) ، قبل أن يستطرد :

ـ ربّاه ! إنها مصابة فى جبهتهـا .. لقد اصطدمت بالأرض فى عنف .

هتفت (سلوى) ، وقد جمّد الرعب ساقيها ، فلم تعد قادرة على تحريكهما :

ـ ربّاه ! ماذا نفعل ؟! ماذا نفعل ؟!

احتضنتها (مشيرة) فى محاولة لتهدئتها ، وهى تقول :

ـ اطمئنى يا (سـلوى) .. اطمئنـى .. كل شىء سيكون على ما يرام بإذن الله .. سنسعف (نشوى) ، ونفحص (نور) ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، وسـرت فى جسدها ارتجافة عنيفة ، وهى تحدّق فى نقطة ما أمامها ، فأزاحتها

(سلوى) ، لتحدّق فى النقطة نفسها ، فى اللحظة التى هتف فيها الأستاذ (حسن) ، فى توتر بالغ :

ـ ربّاه ! مستحيل ! مستحيل !

ففى تلك اللحظة ، وأمام أنظار الجميع ، كـان يقف (نور) ، فى منتصف صالة الفيلا ..

وكانت عيناه تتألقان بذلك البريق الأحمر المخيف .. بريق الظلال ..

الرهيبة ..

★ ★ ★

كل شـىء بدا أشبه بالحلم ، بالنسبة لـ (أكرم) ، وهو ينقضّ على دوريـة الصاعقـة ، التـى يقودهـا (باسل بهجت) ..

أو بالكابوس ..

وهذا أكثر دقة ..

لقد أطلق أشعة مدفعه على واحدة من سيارات الدوريـة ، ورآهـا تنقلـب فـى عنـف ، علـى مسـافة كيلومترين من مدخل الحى الراقى ..

ثـم فوجـئ بالعقيد (باسـل) فـى السيارة الثانيـة ، يصرخ برجاله ، ويطالبهم بمطاردته ، وبسحقه سحقًا ..

ورأى الجنود يقفزون من سيارتهم بالفعل . ويندفعون نحو الحديقة ، التى يختفى فيها بسيارته ، فصرخ :

ـ اللعنة !

ثم ضغط دوّاسة الوقود بكل قوته ..

ووثبت السيارة من بين الأشجار ..

وانقضّت على (باسل) ورجاله ..

وفى آن واحد تقريبًا ، وبتوافق يشفّ عن حسن التدريب والإعداد ، رفع الجنود فوهات مدافعهم ، وانطلقت أشعتهم القاتلة كلها ، نحو هدف واحد ..

(أكرم) ..

وخفض هذا الأخير رأسه ، وهو يضغط دواسة الوقود أكثر ..

واندفعت السيّارة إلى الأمام كالوحش الكاسر ..

واخترقت الأشعة مقدمتها ، وجانبها الأيمن ، وزجاجها ..

ثم انفجر أحد إطاراتها فى عنف ..

ومع انفجاره ، انحرفت السيارة على نحو مخيف ، وصرخ (باسل) فى غضب :

ـ لا تقتلوه .. أريده حيًا .. أريد هذا الوغد حيًا ، لألقّنه درسًا ، يتمنى بعده الموت .

التقطت أذنا (أكرم) العبارة ، فهتف وهو يدور

بالسيارة ، والوعاء المعدنى للإطار المنفجر يحتك بالأرض فى عنف ، وتنطلق منه شرارات مخيفة ..

ومرة أخرى ، انطلقت خيوط الأشعة نحو السيارة ..

وفى هذه المرة ، عبر أحد الخيوط فوق أذن (أكرم) اليسرى مباشرة ، فصرخ فى انفعال :

ـ كفى أيها الحمقى .. إنكم ستقتلون أفضل رجل أمن فى زمنكم هذا .

ثم رفع مدفعه الليزرى ، وأطلق أشعته نحو سيارة (باسل) ..

وكانت مفاجأة حقيقية للرجل ، الذى كان يتوقّع أن ينطلق (أكرم) هاربًا ، مع كل ما ينهمر عليه من خيوط الليزر ، لا أن يجازف بحياته ، بهذه الانتحارية المدهشة ، لمجرّد أن يقتله ..

وفى هلع ، ألقى (باسل) نفسه داخل سيارته (الجيب) ، وهو يصرخ :

ـ إنه يحاول قتلى .. امنعوه يا رجال .. امنعوه .

كان (أكرم) يندفع بسيارته ، فى مبادرة انتحارية بحق ، نحو سيارة (باسل) ، ويمطرها بفيض من خيوط الأشعة ، انسف إطاريها الأيمنيين ، وأطاح

بجزء من سقفها المتحرِّك ، وحطَّم مصابيح المقدِّمة ، و ....

ولكن جنود الصاعقة اندفعوا فى بسالة حقيقية ، للذود عن قائدهم ..

وتصدوا للأشعة القاتلة بأجسادهم الحية ، ليمنعوا (أكرم) من الوصول إلى (باسل) ، وليمطروه بأشعتهم فى الوقت ذاته ..

وشعر (أكرم) بألم شديد فى عنقه ..

وبخيط من النار يخترق ذراعه اليسرى ..

ثم دوى انفجار قوى ، فى مؤخرة السيارة ..

واختلَّ توازنها دفعة واحدة ..

ومع ذلك الاختلال ، دارت حول نفسها فى عنف ، ثم وثبت بغتة ، قبل أن ينجح (أكرم) فى السيطرة على عجلة قيادتها ، ومالت على نحو مخيف ، و ...

وانقلبت على جانبها ..

وشعر (أكرم) وكأن ألف مطرقة من الصلب تدقَّ كل عظمة من عظامه ، والسيارة تنزلق على جانبها فى عنف ، فوق الطريق الأسفلتى ، وتنبعث من احتكاكها آلاف الشرارات الكهربية ، ورجال الصاعقة

يواصلون إمطارها بأشعتهم ، على الرغم من كل هذا ، وعلى الرغم من النيران المشتعلة فى مؤخرتها بالفعل ..

ومرة أخرى ، صرخ (باسل) ، وهو يبرز من سيارته :

ـ أريده حيًّا .. أريد هذا الوغد حيًّا .

لم يسمع (أكرم) صرخة (باسل) هذه المرة ، مع صوت الاحتكاك الرهيب ، قبل أن ترتطم السيارة بإحدى علامات الطريق الأسمنتية الضخمة ، وتقفز مرة أخرى ، ثم تهبط مرتطمة بالأرض فى عنف ، وتستقر فى موضعها هذا ، والنيران تلتهم مؤخرتها أكثر وأكثر ..

وبكل قوته ، جاهد (أكرم) للخروج من السيَّارة ، قبل أن تبلغ النيران خزان الوقود ، ويحدث الانفجار ، الذى سيودى به حتمًا ..

وفى صعوبة ، دفع يده عبر المقعد المحطمَ ، بحثًا عن مدفعه الليزرى ، و ...

وفجأة ، جذبته أياد قوية من السيارة ، ودفعته جانبًا ، ثم أجبرته أياد أخرى على النهوض ، ليواجه

عشرات من فوهات المدافع الليزرية ، المصوبة إلى رأسه مباشرة ، ومن خلفها وجه (باسل) الصارم الغاضب ، وهو يقول فى حدة :

ـ آه .. إذن فهو أنت يا عضو فريق (نور) .. أنت الانتحارى ، الذى نذر نفسه لقتلى .

ثم مال نحوه فى عصبية ، مستطردًا :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا جازفت بحياتك لتفعل هذا ؟!

أجابه (أكرم) فى سخرية :

ـ ربما لأن الحياة لا تصلح لنا معًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هوى كعب مدفع ليزرى على وجهه بعنف ، فهتف فى غضب ساخط :

ـ اللعنة ! أى وغد أنت لتفعل هذا ؟!

هوت ضربة مماثلة على رأسه ، على نحو مادت به معه الأرض ، وكاد يسقط فاقد الوعى ، لولا أن منعته كرامته من أن يهوى ، عند قدمى (باسل) ، الذى قال فى صرامة غاضبة :

ـ إنه مجرّد درس ، ينبغى أن تتعلّمه بسرعة يا هذا .. كل كلمة سخيفة تتفوّه بها ، تتلقّى فى مقابلها ضربة قوية .. استوعب الدرس ، أو افقد أسنانك كلها ..

حاول (أكرم) أن يقول شيئًا ما ..

أن يسخر من (باسل) ..

أو حتى يعترض ..

ولكنه شعر أن أوّل كلمة سينطق بها ، سينهار معها كيانه كله ، ويسقط فاقد الوعى ، عند أقدام جنود الصاعقة ..

لذا فقد أطبق شفتيه ، ولاذ بالصمت التام ، و(باسل) يقول ، بنفس الصرامة الغاضبة الشرسة :

ـ والآن ، دعنا نعد إلى السؤال الأوّل يا سيّد (أكرم) ... لماذا فعلت هذا ؟!

ثم هزّ رأسه ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويسير حوله ، متابعًا :

ـ اعذرنى لو لم أصدّق أن الهدف الحقيقى هو قتلى فحسب ، فلم أعتد هذا الإقدام الأحمق ، من رجال المخابرات العلمية بالذات .. إذن فهناك سبب آخر حتمى .. سبب أكثر منطقية ، دفعك إلى الإقدام على هذا الفعل الجنونى .. ربما كنت تحاول فقط أن ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وكأنما انتبه إلى أمر ما ، وقفزت عيناه إلى العدم لحظة ، قبل أن يهتف :

- بالتأكيد .. هذا هو السبب حتمًا .
ثم التفت بجسده كله إلى الحى الراقى ، هاتفًا ، وهو يشير إليه :
- إنهم هناك .
مط (أكرم) شفتيه ، دون أن يجيب ، فتابع (باسل) فى حسم :
- فى فيلا الدكتور (وائل) .
تمتم (أكرم) ، فى صوت خافت للغاية :
- اذهب إلى الجحيم .
هتف (باسل) ، وقد تدفق الحماس فى عروقه :
- نعم .. هذا هو التفسير المنطقى الوحيد .. لقد ذهب الباقون إلى هناك لسبب ما ، وبقيت أنت هنا لحمايتهم .
غمغم أحد ضباط الصاعقة :
- ولكن رجالنا هناك أيها القائد .
هتف (باسل) ، وهو يلوح بسبابته ، فى اتجاه (أكرم) ..
- مادام قد فعل ما فعله ، فهذا يعنى أن (نور) والآخرين هناك .. لقد وجدوا وسيلة ما للتسلل إلى هناك .

ثم صرخ بكل انفعاله وثقته :
- إنهم هناك .
انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، عندما انتزع (باسل) جهاز الاتصال الليزرى من حزامه ، وهتف عبره :
- من ألف وواحد إلى سرب النسور .. العدو احتل الهدف الرئيسى الآن ... نفذوا عملية التصفية على الفور .
انعقد حاجبا (أكرم) بشدة أكثر ، وهو يتابع (باسل) ، الذى استطرد فى حماسى ، يحمل لذة كبيرة ، وكأنما يستمتع بكل حرف ينطق به :
- استخدموا كواتم الصوت ، ونظم الطيران الليلية .. لا تحذيرات أو مقدمات .. اضربوا فورا بلا إنذار .. هل تفهمون ؟!
انتظر لحظة ، كان من الواضح أنه يتلقى خلالها ردًا حاسمًا من قائد فريق الحوامات الحربية ، والمعروف باسم (سرب النسور) ، والذى أرسله الوزير شخصيًا ، لتدعيم رجال الصاعقة ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ، وتأمين المجال الجوى لها ،

ثم لم يلبث أن أنهى الاتصال ، وعيناه تتألقان فى ظفر ، قائلاً :

ـ قل لى يا سيد (أكرم) : هل ترغب فى معرفة ما يعنيه هذا ؟!

تمتم (أكرم) مرة أخرى ، وقد بلغ توتره مبلغه :

ـ قلت لك : اذهب إلى الجحيم ..

تطلع إليه (باسل) لحظة فى صمت ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

ـ لست أنا من سيذهب إلى الجحيم يا رجل ، وإنما أنت ورفاقك ستذهبون إليه .

ومع قوله ، عبرت فوق رءوسهم خمس حوامات مقاتلة نفاثة ، فى طريقها إلى فيلا الدكتور (وائل شوقى) ..

وفى ظفر ساخر ، انطلق (باسل) يقهقه فى قوة ، فاحتقن وجه (أكرم) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أيها الوغد الحقير .

ثم اندفع ينقضَ عليه فى غضب ، فتراجع (باسل) هاتفا :

ـ أوقفوه .

وفى آن واحد تقريبًا ، هوى كعبا مدفعين ، على رأس (أكرم) وصدغه ..

وفى هذه المرة تفجَرت الدماء من رأسه ..

ودارت الدنيا به فى عنف ..

ثم أظلمت ..

وكمحاولة أخيرة ، ضربت يد (أكرم) الهواء ، وكأنها تحاول التشبُث بأمر ما ..

ثم انتهى كل شىء دفعة واحدة ..

وحدث ما كان يبغض حدوثه منذ البداية ..

لقد سقط فاقد الوعى ..

تحت أقدام (باسل) وجنوده ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، كانت الحوامات الخمس تنقض على فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، فى الحى الراقى ..

وبكل العنف والشراسة ، انطلقت صواريخها ومدافعها الليزرية نحو الفيلا ، وكأنما صدر قرار حاسم بإزالتها من الوجود ..

ومحو الدليل الرئيسى فى العملية كلها ..

إلى الأبد ..

ومن المؤكد أن هلع ورعب سكان الحى الراقى ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ، قد بلغ مبلغه فى تلك الليلة ، مع الانفجار الرهيب ، الذى دوى فى المدينة كلها ، مع ألسنة اللهب جبارة ، ارتفعت حتى بدا وكأنها تطول عنان السماء ..

وعندما خبت ألسنة اللهب ، وتلاشى دوى الانفجار ، وانطلق (سرب النسور) مبتعدًا ، كانت الفيلا قد انسحقت سحقًا ..

انسحقت بكل ما فيها ..

ومن فيها .

★ ★ ★



٢ - وتستمر المفاجآت ..

اندفع (كارم) ، كبير السعاة فى القصر الجمهورى ، إلى حجرة مكتب الرئيس ، على نحو غير مسبوق ، وهو يلهث فى شدة ، هاتفًا :

- سيادة الرئيس .. سيادة الرئيس .

رفع الرئيس عينيه إليه فى دهشة ، وقال فى توتر :

- (كارم) .. كيف تقتحم مكتبى على هذا النحو ، دون أن تطرق الباب ، أو أن ...

قاطعه الرجل فى لهفة ، ولهاثه يكاد يلتهم نصف كلماته :

- كارثة يا سيادة الرئيس .. كارثة .

سرت رجفة خفية فى جسد الرئيس ، وهو يردد فى توتر :

- كارثة ؟! ماذا تعنى يا رجل ؟! ماذا حدث ؟!

مال (كارم) نحوه ، مجيبًا فى صعوبة :

- لقد .. لقد أبلغنى أحد أصدقائى ، من رجال الحرس

الجمهورى ، أن فرقة من الصاعقة قد اشتبكت على حين غرة ، مع طاقم الرجال الذين اصطحبهم سيادة اللواء (سليمان) معه إلى مقر إدارة المخابرات العلمية ، وعلى الرغم من أن رجال الحرس الجمهورى قد قاتلوا كالأسود ، إلا أن فرقة الصاعقة كانت تفوقهم عددًا بمرتين على الأقل ، فأمكنها السيطرة على الموقف كله .

بُهتَ الرئيس للقول ، وحدّق فى وجه كبير سعاته لحظة ، قبل أن يسأله فى بطء وحذر :

ـ وماذا عن اللواء (سليمان) ؟!

هزّ الرجل رأسه فى أسف ، وقال :

ـ إنه لم يغادر مقر إدارة المخابرات العلمية يا سيادة الرئيس .

انعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، مع هذا الجواب ، وانطلق عقله يقيّم الموقف ، على ضوء خبراته السياسية العديدة ..

لم يعد هناك أدنى شك ..

إنه انقلاب عسكرى ..

انقلاب يقوده وزير الدفاع ، والقائد الأعلى

للمخابرات العلمية ، ورئيس مركز الأبحاث .. ويا لها من قوة !

الأوّل يسيطر على الجيش كله ، والثانى يحمل أخطر وأدق أسرار الدولة ، والثالث يتحكم فى كل النظم التكنولوجية ، والأسلحة التقنية الحديثة ..

وهذا يعنى أن الرجال الثلاثة ، باجتماعهم هذا ، صاروا قوة لا يمكن التصدّى لها قط مهما فعل ..

وهذا يعنى أيضًا أنه قد خسر معركته ..

بل ، وربّما يخسر ما هو أكثر خطورة ..

حياته نفسها ..

« يجب أن تتحرّك بأقصى سرعة يا سيادة الرئيس .. »

هتف (كارم) العجوز بالعبارة ، بكل لهفة وتوتر الدنيا ، فالتفت إليه الرئيس فى بطء ، وتطلّع إليه لحظة ، قبل أن يقول فى يأس :

ـ وما الذى يمكن فعله ، فى ظروف كهذه يا رجل ؟!

هتف (كارم) :

ـ الفرار .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يحدّق فيه باستنكار ، فارتبك الرجل ، وقال بصوت ملؤه الاضطراب :

ـ سامحنى يا فخامة الرئيس ، واغفر لى جرأتى وتَجاوزى .. أُدرك جيِّدًا وضاعة شأنى ، وأنه ليس من حقى أن أدلى برأيى ، فى مثل هذه الظروف ، ولكن صدقنى يا سيادة الرئيس ، فلم يعد هناك من سبيل آخر .. لقد سيطروا على الموقف ، وسيكون القصر الجمهورى هو هدفهم الأوَل ، ولا بد أن تبادر بالفرار ، قبل أن تقع العاصمة كلها فى قبضتهم ، وينتهى أ... الأمر كله .

ازداد انعقاد حاجبى الرئيس ، دون أن يعلِّق بحرف واحد ، وذهنه يستَرجع الموقف منذ البداية ...

إنه لم يكن انقلابًا ..

مستشاره الأمنى الخاص أكَّد له ، فى مرحلة ما ، أنه ليس كذلك ..

وهو يثق بآراء وأفكار مستشاره ..

يثق بها تمامًا ..

فما الذى حدث إذن ؟!

كيف تحوَل الأمر من تمرُد عادى ، ومحاولة إخفاء معلومات ، إلى انقلاب عسكرى واضح صريح ، على هذا النحو ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

أهو قَرار اتخذه ؟!

أم شىء فعله ؟!

أو قاله ؟!

أو ...

تفجَّرت صرخةٌ ما فى أعماقه ، عند هذه النقطة بالتحديد ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، فهتف (كارم) فى انزعاج :

ـ سيِّدى الرئيس .. ما الذى ....

رفع الرئيس سبَّابته إلى شفتيه بسرعةً ، وهو يشير إليه فى صرامة ، فبتر الرجل عبارته فى توتر شديد ، وأطلَّ من عينيه تساؤل قلق ، جعل الرئيس يميل نحوه ، ويهمس فى أذنه فى حذر :

ـ اذهب لإحضار رئيس فريق الأمن على الفور .. أبلغه أن يحضر معه كل أجهزة كشف التنصُّت .

هتف الرجل بصوت خافت :

التنصُّت ؟! رباه ! هل تعتقد يا فخامة الرئيس أن ..

استوقفه الرئيس بإشارة صارمة أخرى ، وهو يجيب همسًا :

- إنهم يستمعون إلى كل ما تقوله حتمًا يا رجل .. هذا ما جعلهم يطوِّرون الأمر فى ذلك الاتجاه .

تمتم الرجل مبهوتًا :

- يا إلهى !

تابع الرئيس ، وقد غلب على صوته شىء من الحماس :

- هل تعلم ما يعنيه هذا ؟!

غمغم الرجل ، فى صوت خافت للغاية :

- أننا قد كشفنا أمرهم يا فخامة الرئيس .

هزَّ الرئيس رأسه فى قوة ، قبل أن يهمس :

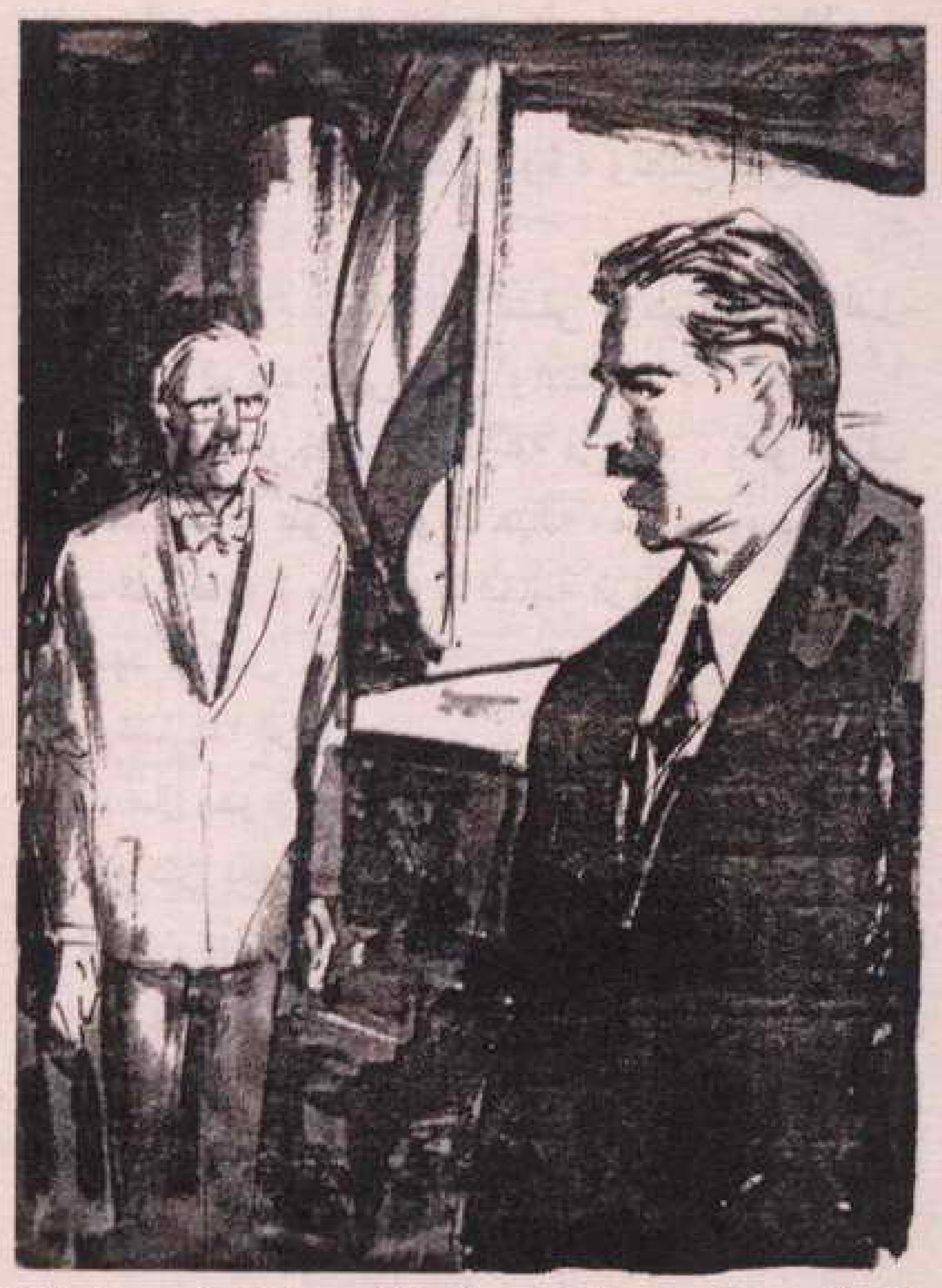
- خطأ يا رجل .. إنه يعنى أن قرار الانقلاب العسكرى وليد اللحظة ، ومن وحى تطورات الأمور .. مما يوحى بأنه قرار فردى ، لم تتخذه قيادات الجيش مشتركة ، وإنما اتخذه وزير الدفاع وحده .

فهم العجوز ما يعنيه الرئيس على الفور ، فهتف فى حماسة :

- بِمَ تأمرنى يا سيادة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس فى حزم :

- بالكثير يا رجل .. ربما كان من تصاريف القدر



فهم العجوز ما يعنيه الرئيس على الفور ، فهتف فى حماسة :
- بِمَ تأمرنى يا سيادة الرئيس ؟!

أن يتوقف مصير أمة بأسرها على كبير سعاة القصر الجمهورى ، ولكن هذا ما حدث .

ثم أمسك يد الرجل فى قوة ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلا :

- (كارم) .. أنت الآن أملى الوحيد .. بل أمل (مصر) الوحيد ، فى الأمن والأمان .

خفق قلب الرجل بين ضلوعه فى قوة ، وهو يهتف بكل ما اختزنه طوال سنوات حياته ، من حزم وحماس :

- كلى فداء (مصر) يا فخامة الرئيس .

تنهد الرئيس ، متمتمًا :

- كلنا هذا الرجل .

ثم مال نحوه ، وراح يهمس له بما يريده ..

ولم تكن بالمهمة السهلة ..

لم تكن كذلك أبدًا ..

ولكنها كانت خطة الرئيس ، للتصدى للموقف ، والحفاظ على أمن وتماسك الوطن ..

خطته الوحيدة ..

والأخيرة ..

★ ★ ★

انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، عندما انقضت الحوامات العسكرية على فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، وأمطرتها بقذائفها فى عنف ..

ومع دوى الانفجار ، انطلقت من حلقها شهقة ، واندفع جسدها للخلف ، هاتفة :

- يا للأوغاد ! لقد نسفوها نسفا ..

هتف الأستاذ (حسن) ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، من هول ما يرى :

- إنهم يحاولون منع تلك الظلال من الوصول إلى عالمنا بأى ثمن .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تقول فى عصبية :

- بل يحاولون التخلص من كل الأدلة .

التفت الاثنان إليها فى توتر ، وتمتم الأستاذ (حسن) بعبارة غير واضحة ، وهو يضع اللمسة الأخيرة فى ضمادات (نشوى) ، فى حين غمغمت (مشيرة) :

- أتعنين أنهم ينسفون الفيلا ، لتدمير كل ما تحويه من معلومات ، عن أبحاث الدكتور (وائل) ؟!

أجابتها (سلوى) ، وجسدها يرتجف مع صوتها ، من فرط الانفعال :

ـ ويقضون علينا فى الوقت ذاته ..

تبادل الأستاذ (حسن) نظرة شديدة التوتر مع (مشيرة) ، قبل أن يقول :

ـ كان توفيقًا من الله (سبحانه وتعالى) ، أن ننقلكم إلى هنا ، قبل أن يقصفوا الفيلا على هذا النحو .

عضت (سلوى) شفتيها ، محاولة كتمان دموعها ، وهى تتمتم :

ـ الله (عزَّ وجلَّ) لم يشأ لنا أن نلقى مصرعنا ، قبل أن نكشف أمرهم .

ثم أدارت عينيها إلى (نور) ، الذى وقف صامتًا ، بالقرب من التلفاز ، وعيناها ما زالتا تشغَان بذلك الوهج الأحمر المخيف ، وعجزت عندئذ عن كتمان دموعها ، فتركتها تتفجَّر من عينيها فى غزارة ، وهى تستطرد :

ـ وسيدفعون الثمن .. أقسم أن يدفعوا ثمن كل ما فعلوه .

رأى (نور) الدموع تغرق وجهها ، ولكنه لم يحرِّك ساكنًا ..

بل ولم يشعر حتى بأدنى تأثُّر ...

هذا لأنه لم ير ما حدث بعينيه ..

وإنما بعينى ذلك الظلِّ الهائل ، الكامن فى أعماقه ..

أما عقله ، فلم يكن هناك أبدًا ..

لقد كان يسبح فى عالم آخر ..

عالم يختلف كل الاختلاف عن عالمه ..

عالم الظلال ..

الرهيبة ..

ففى رأسه ، كان يحيط به عالم من الثلوج المائلة للزرقة ، الممتدَّة إلى ما لا نهاية ، حتى تلتقى بذلك الأفق البنفسجى ، الذى تعلَّق فوقه قرص أحمر كبير ، وسط عواصف جليدية عاتية ، تهبُّ فى وجهه طوال الوقت ..

ولكن العجيب أنه لم يكن يشعر بالبرودة ..

بل على العكس ، كان هناك دفء عجيب ينتشر فى أعماقه ..

حتى مع ظهور تلك الظلال ..

عشرات الظلال ، أحاطت به من كل صوب ، وكلها تتطلَّع إليه فى صمت ..

ومن بين تلك الظلال ، خرج الظلَّ الهائل ..

ظلَ يفوق الآخرين حجمًا وكثافة ..

ومهابة أيضًا ..

كان يتجه نحوه فى نعومة مدهشة ، وكأنما ينزلق على الجليد فى خفة ، حتى صار على قيد متر واحد منه ..

وعندئذ ، بدت ملامحه واضحة .. للغاية ..

كان شيخًا وقورًا ، مهيبًا ، تطلَع فى عينيه مباشرة ، قبل أن يقول فى رصانة :

- أنت لا تفهم الأمر جيدًا .

لم ينطقها بلسانه ..

ولم تتحرك شفتاه حركة واحدة ..

ولكن (نور) سمع العبارة ..

وبمنتهى الوضوح ...

وفى صرامة ، أجاب :

- بل أفهمه يا هذا .. لقد كشفت خدعتكم كلها .

هذه العبارة أيضًا لم تخرج من بين شفتيه ..

لقد ترددت فى عقله وحده ..

وسط عالم الظلال ..

وبنفس الهدوء الرصين ، سأله الشيخ :

- وما الذى فهمته أيها القائد (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- لعبتكم المركبة لغزو الأرض .

صمت الشيخ بضع لحظات ، ثم مال نحوه ، قائلاً :

- ولماذا ؟!

خُيِّل لـ (نور) أنه لم يفهم السؤال ، فتطلع إليه فى حيرة حذرة ، جعلت الشيخ يتابع :

- لماذا نسعى لغزو عالمك ؟!

أجابه (نور) :

- الأطماع الاستعمارية صنعت مجلدات ضخمة ، فى تاريخ العالم ، وتجاربنا السابقة تؤكد أنها موجودة فى كل المخلوقات المفكرة .

تطلع الشيخ إلى عينيه بضع لحظات أخرى ، ثم سأله فى اهتمام :

- وما موقفك من هذه الأطماع الاستعمارية ؟!

أجابه (نور) ، فى حزم صارم :

- لا يحق لأية دولة أن تحتل أراضى الغير بالقوة ، ولا يحق لأى شعب من الشعوب أن يسعى لاحتلال أو استعمار شعب آخر .

سأله الشيخ ، فى اهتمام أكبر :

ـ أيًا كانت الأسباب ؟!

أجابه (نور) فى حسم :

ـ أيًا كانت الأسباب ، وأيًا كانت النتائج .

تطلّع الشيخ إلى عينيه بضع لحظات ، قبل أن يتراجع ، قائلاً :

ـ هذا مجرَّد رأى شخصى للأسف .

قال (نور) فى سرعة :

ـ خطأ يا هذا .. رفض الأطماع الاستعمارية ليس مجرَّد رأى شخصى ، ولكنه رأى وموقف رسمى أيضًا ، فالقانون الدولى يرفض الفكرة ، ويستنكرها تمامًا ، وهناك نصّ صريح لعدم جواز احتلال أراضى الغير بالقوة ، كما أن القانون والدستور المصرى يؤكدان على حرية الشعوب فى الحياة ، وفى حق تقرير مصيرها وحدها ، دون أى تدخل سياسى أو اقتصادى أو عسكرى ، كما يمنعان اتخاذ أية إجراءات ، من شأنها المساس بحرية أو استقلال أى شعب آخر ، إلا فى حالات الدفاع عن النفس ، والحرب المباشرة وحدهما .

وفى هذه المرة صمت الشيخ طويلاً ..

طويلاً جدًا ..

كان يبدو وكأنه يعيد دراسة كل ما سمعه ..

وكل ما استوعبه ..

وبعد فترة الصمت الطويلة هذه ، عاد يميل نحو (نور) ، قائلاً :

ـ لو أن كل ما تقوله صحيحًا ، فهذا يعنى أن هناك الكثير لتعلمه .. الكثير جدًا .

قالها ، ثم راح فيض من المعلومات ، ينساب من عقله إلى عقل (نور) ..

فيض مدهش ..

وعجيب ..

وفى صعوبة ، حاول عقل (نور) أن يستوعب كل ما يعرفه ..

وعلى الرغم من سيطرة الظلّ الهائل على جسده ، راح قلبه يخفق فى عنف ..

فتلك المعلومات ، التى تحتشد فى عقله كانت خطيرة ..

خطيرة إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« الأمور كلها لا تروق لى أبدًا .. »

- غمغم (رمزى) بالعبارة ، فى توتر بالغ ، وهو يعتدل ، بعد أن انتهى من تضميد جراح آخر جندى ، من جنود حادث السيارات الثلاث ، فسأله الدكتور (حجازى) ، فى صوت لا يقلّ عنه توترًا :

- ما الذى لا يروق لك بالضبط ؟!

أشار (رمزى) بيده ، مجيبًا فى حدة :

- كل ما يحيط بنا ، هل سمعت تلك الفرقعة المكتومة ؟! لقد انفتحت تلك الفجوة اللعينة مرة أخرى ، و(نور) و(سلوى) و(نشوى) يواجهونها الآن ، فى حين نقضى نحن وقتنا هنا ، فى إسعاف بعض الجنود .

أجابه الدكتور (حجازى) فى حزم :

- ما نفعله واجب نبيل للغاية يا بنى ، فهؤلاء ليسوا جنود الأعداء .. إنهم جنود جيشنا نحن ، ولا يمكننا أن نتخلّى عنهم ، حتى ولو ضلّلهم أحد ، ودفعهم لمقاتلتنا ، كما لو كنا أعداء .

زفر (رمزى) فى عصبية ، قائلاً :

- إنهم يواجهون تلك الظلال اللعينة .. ألا تدرى ما يعنيه هذا ؟! إنه قد يعنى كل الخطر .

ثم انحنى يلتقط مدفعًا ليزريًا ، ومسدسًا كبيرًا ، ودسّ الأخير فى حزامه ، وهو يستطرد فى حزم :

- ولا يمكن أن نتركهم وحدهم هناك .

تردّد الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يلتقط جهاز اتصال ليزريًا ، مغمغمًا :

- أنت على حق .

لم يتبادل أحدهما كلمة واحدة إضافية مع الآخر ، وهما يحثان الخطى ، للوصول إلى الحى الراقى ، فى أسرع وقت ممكن ، و ...

وفجأة ، عبرت الحوامات العسكرية فوق رأسيهما .. وانقضّت على الفيلا ..

ومع دوى الانفجارات ، صرخ (رمزى) :

- أيها الأوغاد .

وارتفعت فوهة مدفعه الليزرى إلى أعلى ، فأمسك الدكتور (حجازى) معصمه فى سرعة ، هاتفًا :

- ماذا ستفعل أيها المجنون ؟!

ثم جذبه جانبًا بأقصى قوته ، وهو يستطرد فى حدة :

- إنك ستكشف أمرنا بهذا .

قاومه (رمزى) فى غضب ، وهو يهتف :

ـ لقد نسفوا الفيلا .. لقد قتلوا الجميع .

صاح به الدكتور (حجازى) :

ـ اهدأ يا (رمزى) .. استعد سيطرتك على أعصابك ، أيها الخبير النفسى .. اهدأ .

كان لتذكيره بخبرته الرئيسية تأثير قوىٌ بالفعل ، إذ لم يكد (رمزى) يسمع الكلمات الأخيرة ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يبذل جهدًا مضنيًا ، للسيطرة على أعصابه فعليًا ..

أما الدكتور (حجازى) ، فقد تابع فى حزم :

ـ إننا لا ندرى بعد ما إذا كان (نور) والآخرون داخل الفيلا أم لا ، ولا ما إذا كانوا بحاجة لمساعدتنا ، أم أنهم قادرون على تولى أمورهم بأنفسهم .. لذا فأفضل ما نفعله ، فى ظروف كهذه ، أن نحافظ على أنفسنا وعلى قوتنا جيدًا ، حتى نكون على أهبة الاستعداد لمد يد العون ، إذا ما تطلب الأمر هذا .

ارتجفت شفتا (رمزى) ، وهو يستوعب الأمر ، ثم انفرجت شفتاه ليقول شيئًا ما ، إلا أن الدكتور (حجازى) جذبه فجأة فى قوة ، وهو يهتف :

ـ احترس .

كانت جذبته قوية ، حتى إنها دفعتهما خلف سور إحدى الفيلات ، فى نفس اللحظة التى برزت فيها سيارات دورية (باسل) ، وهى تنطلق نحو الحى الراقى ، فهتف (رمزى) بصوت خافت :

ـ رباه ! إنه هو .

ومع آخر حروف كلماته ، ارتفع صوت (باسل) ، وهو يهتف برجال الدورية :

ـ توقفوا .

توقفت سيارتا الدورية فى آن واحد ، ووثب هو من سيارته ، وخلفه بعض رجاله ، واندفع نحو السيارات الثلاث ، التى ارتطمت بعضها بالبعض ، وهو يقول فى عصبية :

ـ يا للشيطان ! ماذا حدث هنا ؟!

انحنى يفحص المصابين ، الذين ضمد (رمزى) والدكتور (حجازى) جراحهم ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

قال أحد رجاله ، وهو يتلفت حوله فى توتر :

ـ لقد اعتنى بهم أحدهم .

صاح به (باسل) فى غلظة :

ـ وتسبّب آخر فى إصابتهم .. لا تنس هذا .

انعقد حاجبا رجل آخر ، وهو يتمتم :

ـ ولكنه ضمّد جراحهم .

هبّ (باسل) ، صائحًا :

ـ ماذا دهاكم يا رجال ؟! لا تجعلوا كل هذا يربككم .. إننا نواجه خصومًا فى غاية البراعة والدهاء ، ومهمتكم ليس تقييمهم ، أو تحديد طبيعتهم وأهدافهم .. مهمتكم هى طاعة الأوامر فحسب .. هل تفهمون ؟!

تبادل الرجال نظرات متوترة للغاية ، قبل أن يقول أحدهم :

ـ مهمتنا هى أن نطيع الأوامر أيها القائد .. هذا ما تدربنا عليه ، وما ينبغى علينا أن نفعله .

أجابه (باسل) فى صرامة :

ـ بالضبط .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يعود لفحص الجنود الفاقدى الوعى ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ عجبًا ! بعضهم فقد الوعى ، دون أية إصابات !! ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه قائد فريق الجنود ، الذى مرّ بظروف مشابهة فى المستشفى :

ـ سيدى القائد .. لقد أصابهم ما أصابنا حتمًا .. توهج الغلاف الواقى ، وصدمة عنيفة ، ثم فقدان للوعى .

انعقد حاجبا (باسل) ، وهو يقول :

ـ توهج ، ثم صدمه .. ترى هل ..

لم يكمل عبارته ، وهو يعتصر عقله ، فى محاولة لاستيعاب الموقف ، قبل أن يغمغم :

ـ يا للشيطان ! لقد استغلوا الهالة الواقية بوسيلة ما ..

ثم أدار عينيه إلى الأرض ، وهو يكمل :

ـ الرجال فقدوا وعيهم ، وهم ينطلقون بسياراتهم ، فحدث الاصطدام ، و ...

بتر عبارته مرة أخرى ، وهو يحدّق فى نقطة ما ، قبل أن يتجه نحوها فى سرعة ، وينحنى ليفحص بعض الآثار على الأرض ، قبل أن يدير عينيه إلى الحى الراقى ، ويهتف برجاله فى صرامة :

ـ اتبعونى .

قالها ، واتجه فى خطوات واسعة سريعة نحو مدخل الحى الراقى ، ثم استدار فى سرعة عصبية ، يتطلع إلى الفيلا ، التى يختفى (رمزى) والدكتور (حجازى) خلف سورها ، قبل أن يشير إليها فى حدة ، هاتفا :

ـ هناك .

اندفع جنوده نحو النقطة ، التى أشار إليها ، وهم يحملون مدافعهم فى تحفز ، فهتف (رمزى) ، وهو يهبَ من مكانه :

ـ لقد انكشف أمرنا .. لم تعد هناك فائدة من الاختفاء .

ومع هتافه ، ضغط زناد مدفعه الليزرى ..

وانطلقت خيوط الأشعة ..

انطلقت من مدفعه ..

ومن مدافع جنود الصاعقة ..

وبكل انفعاله ، هتف (باسل) :

ـ لا تقتلوه .. أريده حيًا .. أريدهم جميعًا أحياء .

لم يدر (رمزى) ما الذى يفعله بالضبط ، ولكنه شعر بنفسه يطلق خيوط الأشعة فى غزارة ، وهو

يثب عبر سور الفيلا ، وخيوط الأشعة تحيط به من كل جانب ..

واخترق أحد خيوط الأشعة ذراعه ، وساقه ، وكتفه ..

واخترقت أشعته صدر أحد الرجال ..

وعنق رجل ثان ..

وذراع ثالث ..

ثم فقد أحد رجال الصاعقة أعصابه ، وتجاهل أمر إلقاء القبض على الرجلين أحياء ، و ...

وانطلقت أشعته ..

نحو (رمزى) مباشرة ..

وارتطمت الأشعة بصدر (رمزى) ، الذى أطلق صرخة ألم هائلة ، وشعر بجسده كله يطير فى الهواء ، ويتجاوز سور الفيلا ، ثم يسقط مرتطمًا بالأرض فى عنف ..

وصرخ (باسل) :

أيها الأغبياء.. قلت .. أريده حيًا .

أما الدكتور (حجازى) ، فقد صرخ فى لوعة :

ـ (رمزى) .. يا إلهى ! (رمزى) !

وبكل ذعره وانزعاجه ، راح يجاهد لمنع الدماء ، التي تتدفق من صدر (رمزى) فى غزارة ، فى حين توقف الرجال عن إطلاق النار ، وانخفضت فوهات مدافعهم ، وكأنها تبدى اعتذارها عما حدث ، فى حين مزّق الدكتور (حجازى) جزءا من قميصه ، وأخذ يضغط به موضع الإصابة ، هاتفا :

ـ رباه ! ماذا أفعل .. إنه يموت .. يموت .

انعقد حاجبا (باسل) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ دعه يموت .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردا بلهجة آمرة :

ـ انقلوهما إلى السيارة الكبيرة ، مع زميلهما الآخر ..

انقضّ الجنود على الدكتور (حجازى) ، وجذبوه فى صرامة ، فصرخ :

ـ أيها الأوغاد .. الرجل يحتاج إلى إسعاف عاجل .. إنه يموت .

صاح به (باسل) فى غضب :

ـ قلت لك : دعه يموت .

كان الرجال ينحنون لحمل (رمزى) ، عندما صاح بهم :

ـ كلا .. اتركوه .. لن نضيع وقتنا لإسعاف حقير ، يلفظ أنفاسه الأخيرة .

صرخ الدكتور (حجازى) ، وهم يجذبونه إلى السيارة الكبيرة :

ـ حقير ؟! أنت هو الحقير أيها الوغد .. أنت من يقتل الأبرياء ، ويروّع الآمنين ، ويحطّم كل القواعد والقوانين ، دون رحمة أو شفقة .

مط (باسل) شفتيه فى ازدراء ، وهو يغمغم :

ـ هذا ما يردده الخاسرون ، فى كل زمان ومكان .

راح الدكتور (حجازى) يقاوم ، وهم يلقونه داخل السيارة الكبيرة ، إلى جوار (أكرم) الفاقد الوعى ، فانحنى أحدهم ، وهوى على رأسه بكعب مدفعه ..

وسقط الدكتور (حجازى) فاقد الوعى بدوره ، إلى جوار (أكرم) ، وراح أحد الجنود يحيط معصميه بالأغلال المعدنية خلف ظهره ، فى نفس اللحظة التى استخدم فيها (باسل) منظاره المقرّب ، ليرصد الحى الراقى من بعيد ، وراح يدير بصره عبره ، فى الجنود الفاقدى الوعى ، المنتشرين فى كل مكان ، قبل أن يلتفت إلى جنوده ، قائلا فى صرامة :

ـ ألغوا عمل الأغلفة الواقية .

بدت الدهشة على الجنود ، وتساءل أحدهم فى قلق :

ـ وماذا عن تلك الظلال ؟!

أجاب فى صرامة :

ـ لست أظنهم بالكثرة التى تكفى لاحتلال أجسادنا جميعًا .

ثم خفض المنظار المقرب عن عينيه ، مستطردًا :

ـ ولكن الأكثر أهمية أن نستعيد سيطرتنا على المدينة كلها ، وبقبضة من فولاذ .

وفى حزم واثق ، عاد إلى سيارة القيادة ، وأشار بيده ، هاتفًا :

ـ الآن ..

وانطلقت الدورية ، فى طريقها إلى الحى الراقى ، وكل رجل فيها متأهب ، متحفز للقتال ، تاركين (رمزى) خلفهم ملقى فى حديقة الفيلا ، والدماء تنزف من جرح صدره فى غزارة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

★ ★ ★

من المؤكد أن تلك الظلال كانت تتطور وتتحسن ، وتكتسب خبرات جديدة ، فى كل دقيقة تقضيها فى عالمنا ، كما استنتج (نور) من قبل ..

فالشىء الذى لم يدركه (أمجد صبحى) ، وهو يقف أمام الجنديين ، اللذين يصوبان إليه مدفعيهما الليزريين ، بعيونهما المشتعلة بذلك الوهج الأحمر المخيف ، أنها المرة الأولى ، التى تنجح فيها الظلال فى تجاوز الغلاف الكهرومغنطيسى الواقى ، لاختراق جسد يحتمى به ..

لقد تعلمت أن تنقض على نقطة واحدة منه ، بأقصى سرعة ممكنة ، لتتجاوزه بأقل قدر من الخسائر ..

والدليل على نجاحها فى هذا ، هو أن الجنديين ، اللذين وقعا تحت سيطرتها ، بعد مصرع أحدهما بالفعل ، كانت تحيط بهما تلك الهالة الخضراء الباهتة ..

وعندما أطلق (أمجد) صيحته الغاضبة ، انطلقت أشعة مدفعى الجنديين ..

وبمنتهى العنف ..

ولكن العجيب أن همسة منهما لم تمس خلية فى جسد (أمجد) ..

أو حتى خيطًا من ثيابه ..

ليس لأن (أمجد) قد تحرك بسرعة كبيرة كعادته ..

ولكن لأن خيطى الأشعة لم يتجها نحوه أبدًا ..

لقد أصابا الأرض ، عن يمينه ويساره ، وكأنما يعلن الظلان أنهما لا يرغبان أبدًا فى إصابته ..

ولقد اتسعت عينا (أمجد) عن آخرهما :

كان من الطبيعى أن يشعر بدهشة بلا حدود ، مع تلك المبادرة العجيبة ، بعد قتاله العنيف مع تلك الظلال ، والذى لم تمض عليه دقيقتان بعد ..

وبصوت عميق .. عميق ، وكأنه يأتى من أعمق أعماق قبر أثرى قديم ، لم يتنسم هواءً نقيًا ، منذ ألف عام ، قال الجندى المصاب :

- لم نشأ قتلك أبدًا .

حدق (أمجد) فى وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن استعاد تماسكه فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة :

- هذا لن يخدعنى قط .

أجابه الجندى ، بنفس الصوت العميق المخيف :

- لا أحد يخدعك .

مرة أخرى حدق فيه (أمجد) ، ثم هتف فى حدة :

- لا تحاول إقناعى بسلامة نوايكم .

صمت الجندى طويلاً هذه المرة ، وبدا بثباته أشبه بتمثال من الحجر ، فى حين استدار زميله ، واتجه نحو (الجيب) ، والتقط منها جسمًا متوسط الحجم ، عاد به إلى (أمجد) ، وفرد ذراعه نحوه فى صمت ..

وسرت فى جسد (أمجد) قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يحدق فى عينى الجندى ، الذى يناوله جهاز الاتصال الليزرى الصغير ..

كانت عينين باردتين ، خاويتين ، خلتا تمامًا من بريق الحياة ، على نحو مخيف ..

مخيف للغاية ..

فمن المؤكد أن (أمجد صبحى) ، على الرغم من حياته الحافلة ، لم يواجه من قبل قط شخصًا لقى مصرعه بالفعل ، ويسعى لإعطائه شيئًا ما ..

وفى حذر ، رفع (أمجد) يده ، ليلتقط جهاز الاتصال الليزرى ، وما إن فعل ، حتى ألقى الجندى مدفعه تحت قدميه ، ثم تراجع لمترين إلى الخلف ، وانبعث من مؤخرة عنقه لسان اللهب ، وهو ينهى عمل غلافه الواقى ..

ثم انطلق ذلك الظلّ ، من مؤخرة عنقه ..

انطلق بسرعة مدهشة ، هوى بعدها الجندى أرضًا جثة هامدة ، فى حين قال الجندى الآخر ، بنفس الصوت المخيف الرهيب :

- الآن أنت تمتلك وسيلة اتصال بالعالم الخارجى .

رفع (أمجد) الجهاز إلى عينيه ، وهو يغمغم :

- حقًا ؟!

ثم ضغط أزرار جهاز الاتصال فى سرعة ، وقال فى حماس :

- أخيرًا يمكننى نقل الموقف كله إلى سيادة الرئيس .

أتاه صوت الجندى ، قائلاً :

- وهل تعرف ما يحدث ، حتى يمكنك أن تنقله ؟!

انعقد حاجبا(أمجد) ، وهو يقول :

- على الأقل ، أعرف أن (باسل) ورجاله يعملون ، ضد نظام الدولة .

مع آخر حروف كلماته ، أتاه صوت الرئيس ، وهو يقول فى لهفة :

- (أمجد) .. أهو أنت ؟! أنت وحدك تعرف هذه الموجه الخاصة .

قال (أمجد) فى سرعة :

- سيادة الرئيس .. لدى أخبار غير سارة ..

أجابه الرئيس فى توتر :

- لن تكون أسوأ مما لدى من أخبار يا (امجد) .

ازداد انعقاد حاجبى (أمجد) ، وهو يسأله ، فى قلق شديد :

- ماذا لديك يا سيادة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس ، فى توتر بلغ ذروته :

- وزير الدفاع يقود انقلابًا عسكريًا ضدى ، ولقد اعتقل اللواء (سليمان) بالفعل ، وأرسل فرقة من رجال الصاعقة ، فى طريقها إلى هنا .

هتف (أمجد) :

- يا إلهى ! أسرع إذن يا سيادة الرئيس .. غادر القصر الجمهورى بأقصى سرعة ، قبل أن ...

لم يكن قد أتمّ عبارته بعد ، عندما انقطع الاتصال بغتة ..

انقطع على نحو ، جعل حاجبى (أمجد) ينعقدان مرة أخرى فى شدة ، وهو يتساءل عما حدث ، و ...

وقبل أن يكتمل تساؤله ، عاد جهاز الاتصال للعمل بغتة ..

وفى هذه المرة ، انبعث عبره صوت (باسل) ، وهو يقول فى سخرية :

- ليس بهذه البساطة أيها المستشار .

ومع آخر حروف كلماته ، انبعث أزيز قوى من جهاز الاتصال الليزرى ، فهتف (أمجد) :

- يا إلهى !

وقبل أن تمضى ثانية واحدة ، انقطع الأزيز بغتة ..

ودوى الانفجار ..

بعنف .





٤- بالدم ..

من المؤكد أنها كانت مفاجأة عنيفة للعقيد (باسل) ، أن يكشف ، من خلال جهاز الاتصال اللاسلكى ، أن (أمجد صبحى) ما زال على قيد الحياة ..

مفاجأة زلزلت كيانه بحق ..

ولكن لثوان معدودة ..

ثوان استمع خلالها لذلك الحوار القصير ، بين (أمجد) والرئيس ..

وأدرك بسرعة ، أن الموقف فى العاصمة يسير لصالح الوزير ..

وأن الانقلاب يمضى بنجاح ..

إلى أقصى حد ..

لذا فلم يكن من العسير عليه أن يقطع الاتصال ، ثم يرسل إلى الجهاز ، الذى يمسك به (أمجد) ، ذبذبة التفجير والتدمير الخاصة ..

ولم تمض ثانية واحدة ، حتى نقل إليه جهازه دوى الانفجار ..

وأيقن أنه قد أزاح خصمه عن الطريق هذه المرة .. وإلى الأبد ..

ومع شعوره بالتفوق والظفر ، انتفخت أوداجه زهوًا ، وانتعشت فى أعماقه تلك الطبيعة الوحشية ، المحبة للقتل والتدمير ، فهتف برجاله ، وهو يشير بيده ، إلى الحى الراقى بالمدينة :

ـ الآن لم يعد هناك ما يحول بيننا وبين الانتصار التام يا رجال .. ها هى ذى المدينة أمامكم ، ملك يمينكم .. لقد نسفنا الموقع ، الذى يمكن لتلك الظلال أن تتسلل منه إلينا ، وطبقًا لما أبلغتنى به القيادة ، منذ بداية المهمة ، فسوف يصبح انتصارنا كاملاً ، عندما تشرق الشمس .. هذا لأن تلك الظلال ، سواء أكانت حرة ، أم داخل أى جسد بشرى ، لا يمكنها أن تحتمل أشعة الشمس الدافئة .. الحرارة التى تمنحنا إياها شمسنا تقتلها على الفور .. وها هو ذا الفجر يقترب .. ساعة واحدة وتشرق الشمس .. ومع شروقها ترتفع رايتنا عالية .. كل المطلوب منا هو أن نحكم سيطرتنا على الموقف ، حتى يحين هذا ، وعندما تشرق الشمس ، لن نترك شخصًا واحدًا فى منزله ..

الكل سيخرج مرغمًا ، ليقف تحت الشمس .. بهذا فقط نضمن القضاء على كل الظلال ..

ثم رفع مسدسه ، هاتفًا بحماس شديد :

ـ ونضمن النصر الكامل .

انتقل حماسه إلى الرجال ، فانطلقت هتافاتهم تشق عنان السماء ، وكأنهم مقدمون على حرب كبرى ، مع عدو غاشم ، فاستطرد هو ، ملوحًا بقبضته :

ـ لا تجعلوا الأمور تفلت من قبضتكم ، مهما كان الثمن .. سيطروا على الموقف كله بلا هوادة .. بلا كلل ..

ثم تألقت عيناه ببريق وحشى عجيب ، وهو يضيف :

ـ بلا رحمة .

تبادل رجاله نظرة مرتبكة ، وهم يتساءلون عما أصابه ، فى حين هتف هو :

ـ هيا يا رجال .. إلى النصر .

انطلق الرجال يقتحمون الحى الراقى ، ويفحصون زملاءهم فاقدى الوعى ، ومدافعهم الليزرية تدور مع عيونهم فى المكان ، فى حذر متحفز ، وعلى رأسهم (باسل) ، يسير منتفخ الأوداج كالطاووس ..

ومن خلف نوافذهم ، راح السكان المذعورون يراقبون ذلك المشهد ، وقلوبهم تخفق فى خوف ، وعقولهم المذعورة تتساءل : ترى ماذا سيحدث هذه المرة ؟!

أية مذبحة جديدة سيرتكبها هؤلاء الجنود الليلة ؟!

فلقد شاهد هؤلاء المدنيون ، فى الساعات القليلة الماضية ، ما لم يخطر ببالهم قط ، طوال حياتهم كلها ..

وفى ساعات محدودة ، ضاع منهم كل شعور بالأمن والأمان ، تردد فى كيانهم ، منذ انتهى الاحتلال الفضائى القديم للأرض(*) ..

أما (باسل) ورجاله ، فقد واصلوا سيرهم الحذر ، عبر شوارع الحى ، حتى بلغوا حطام فيلا الدكتور (وائل) ، فتطلع إليها (باسل) بضع لحظات ، قبل أن يبتسم فى سخرية ، قائلا :

- لا يمكن أن يظل أحد حيًا ، بعد انفجار كهذا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، همست (مشيرة) ، وهى تراقبه سرًا ، من خلف ستارة نافذة منزل الأستاذ (حسن) :

- إنه يتأكد من نجاح خطته الوضيعة .

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠)

تمتمت (سلوى) :

- هذا أمر طبيعى .

هتف الأستاذ (حسن) ، فى صوت خافت :

- هل سنتركهم يفعلون كل هذا ، دون أن نفعل شيئا ؟!

قالت (سلوى) فى مرارة :

- سيدفعون الثمن ، حتى ولو كان هذا آخر ما أفعله ، فى حياتى كلها .

وعادت الدموع تتدفق من عينيها ، وهى تضيف فى غضب :

- لن أسمح له بالإفلات ، بعدما أصاب (نور) و (نشوى) .

فوجئ الجميع بصوت (نور) ، وهو يقول :

- الجميع بخير يا (سلوى) .

التفتوا إليه جميعا فى دهشة ، وهالهم أن يروا ذلك البريق الأحمر ، الذى تشع به عيناه ، وقد تضاعف أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولكن العجيب أن صوته لم يبد عميقا كذى قبل ..

لقد كان هادئًا ، صافيًا ، يحمل نفس نبراته المعتادة ، وهو يضيف :

- كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .

هتفت (سلوى) :

- يا إلهى ! (نور) .. أأنت ...

قاطعها بنفس الهدوء :

- كل شىء على ما يرام :

تبادل الجميع نظرة متوترة للغاية ، قبل أن تقول زوجة الأستاذ (حسن) فى حذر :

- ولكن .. يا إلهى ولكن ماذا عن عينيك ؟!

صمت (نور) بضع لحظات هذه المرة ، قبل أن يقول ، مكررًا العبارة نفسها .

كل شىء سيصبح على ما يرام .

ومع نهاية كلماته ، انتفض جسده فى عنف ، كما لو أن تيارًا كهربيًا قويًا قد صعقه بغتة ، ثم أغلق عينيه فى قوة ، وأمسك جانبى رأسه فى ألم شديد ، وهو يكتم صرخاته بكل إرادته ، وإن لم يستطع كتمان آهة ألم طويلة ، فرّت من بين شفتيه ، وهو يسقط على ركبتيه أرضًا ..

وبكل لوعتها ، هتفت (سلوى) ، وهى تندفع نحوه :

- يا إلهى ! (نور) .

قفز الأستاذ (حسن) يمسك بها فى قوة ، هاتفًا :

- لا .. لا تقتربى منه الآن يا سيدتى .

قاومته فى عنف ، وهى تهتف :

- ابتعد عنى .. لن أتركه وحده .. لن ..

وقبل أن تتمّ عبارتها ، انتفض جسدها بغتة ، واتسعت عينا الأستاذ (حسن) عن آخرهما ، فى حين أطلقت زوجته شهقة مذعورة ، وتراجعت (مشيرة) فى عنف ، حتى إنها ارتطمت بالجدار ..

ففى تلك اللحظة ، وفى آن واحد تقريبًا ، انبعث لسان من اللهب ، من مؤخرة عنق (نشوى) ..

وآخر من مؤخرة عنق (نور) ...

ثم انطلق من كل منهما ظلّ كبير ..

وكما تتجاذب المتضادات(★) انجذب كل ظلّ إلى الآخر ، فى سرعة خرافية ..

(★) نظرية تجاذب الأضداد ، أو المتضادات : هى نظرية علمية ، تشير إلى أن الأجسام المتشابهة تتنافر ، والأجسام المتضادة تتجاذب ، ومرجعها هو تجاذب الأقطاب المغنطيسية السالبة إلى الموجبة ، وتضاد كل منهما وتنافرها مع مثيلاتها ، كما أن النظرية نفسها تتصل بعالم الأحياء ، من حيث تجاذب الإناث للذكور ، والعكس بالعكس .



قفز الأستاذ (حسن) يمسك بها فى قوة ، هاتفا :
- لا .. لا تقتربى منه الآن يا سيدتى ..

ثم امتزجا بغتة ..

وفى منتصف ردهة فيلا الأستاذ (حسن) ، تكون ذلك الظل الهائل ..

ظل ضخم مهيب ، كاد يشمل المكان كله ، والجميع يحدقون فيه فى دهشة ممتزجة بذعر كبير ، وتوتر لا حدود له ..

أما (نور) ، فقد راح جسده يتصبب عرقا فى عنف ، وهو جالس على ركبتيه ، على مسافة متر واحد من الظل ، قبل أن يرفع عينيه إلى الآخرين فى بطء ، متمتما :

حمدا لله .. حمدا لله .

عندئذ فقط ، وعلى الرغم من وجود ذلك الظل الهائل ، اندفعت (سلوى) نحو زوجها ، وألقت نفسها بين ذراعيه ، هاتفة :

- (نور) .. أأنت بخير ؟! أأنت بخير يا (نور) ؟!

ضمها إليه فى حنان ، متمتما :

- الجميع بخير يا حبيبتى .. حمدا لله .

نقل الأستاذ (حسن) بصره بينهما لحظة ، قبل أن يشير إلى الظل الهائل ، هاتفا فى عصبية :

- وماذا عنه ؟!

أدار (نور) عينيه إلى الظل الضخم لحظة ، قبل أن يعيدهما إلى حيث يقف الأستاذ (حسن) وزوجته و (مشيرة) ، قائلا :

- لا تقلق بشأنه .. إنه لن يؤذى أحدًا .

اتسعت عيونهم جميعًا فى دهشة بالغة ، قبل أن تهتف (مشيرة) :

- ماذا تعنى بقولك هذا يا (نور) ؟!

نهض (نور) واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى حزم :

- إنه لن يؤذى أحدًا يا (مشيرة) .

قال الأستاذ (حسن) فى عصبية :

- هل أصبحت صديقًا لتلك الظلال أيها المقدّم .

سأله (نور) فى هدوء :

- أيزعجك هذا يا أستاذ (حسن) ؟!

هتف الأستاذ (حسن) فى حدة :

- بالتأكيد .. ألا يزعجك أنت أن يتحالف قائدك مع عدوك ، والحرب لم تضع أوزارها بعد ؟!

أجاب (نور) فى هدوء :

- هذا يتوقَّف على السبب ، الذى اندلعت من أجله الحرب .

سألته (مشيرة) فى عصبية :

- وما السبب فى رأيك يا (نور) ؟!

أدار عينيه إليها فى بطء ، وبدا شاردًا لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- الغزو .

اتسعت عينا (سلوى) فى دهشة ، وشهقت (مشيرة) من المفاجأة ، فى حين سقط الفك السفلى للأستاذ (حسن) ، وهو يحدِّق فى (نور) بذهول ، وتعلَّقت زوجته بذراعه ، وكأنما تنشد حمايته ..

وبكل دهشتها واستنكارها ، هتفت (سلوى) :

- الغزو ؟! إذن فأنت تعلم أن الهدف الرئيسى هو الغزو يا (نور) .

هزَّ كتفيه فى هدوء ، قائلاً :

- وما الذى يمكن أن يفعل هذا سواه ؟!

ثم التفت إليهم جميعًا ، متابعًا :

- إنها تلك الأطماع الاستعمارية للأسف .. الرغبة فى استغلال القوة ، للسيطرة على الشعوب الأكثر ضعفًا ..

تلك الغريزة الوحشية ، التى تختفى فى أعماق الكائنات العاقلة ، وتدفعها لإخضاع غيرها .

هتف الأستاذ (حسن) :

- هكذا .. بكل بساطة ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- الحقيقة كالضوء ، لا يمكن أن تحجبه عن أعين المبصرين أبدًا .

صاحت (مشيرة) فى حدة :

- أهذا ما أقنعك به هذا الظل .

- استدار (نور) يلقى نظرة على الظل الهائل ، الذى وقف هادئا وقورا ، وكأنما ينتظر ما سيسفر عنه نقاشهم ، ثم عاد يلتفت إليهم ، قائلا :

- هذا الظل ليس ظلا عاديًا .

هتف الأستاذ (حسن) فى سخط :

- بالطبع ، فقد صار صديقك .

- أشار (نور) بيده ، وهو يقول ، وكأنه لم يسمع تعليقه :

- إنه الملك .

خيل إليهم أنهم لم يفهموا ما يعنيه ، فحدقوا فى وجهه لحظة ، قبل أن تغمغم (سلوى) :

- الملك ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وشد قامته ، وهو يجيب فى حزم :

- نعم .. هذا الظل هو ملك عالم الظلال كله .

وانتفضت أجسادهم فى عنف ..

فلقد كانت المفاجأة مذهلة ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« إننا نستعد للقيام بأهم وأخطر خطوة فى حياتنا يا رجال .. »

هتف وزير الدفاع بعبارته فى حماس ، وهو يقف فى مواجهة فرق الصاعقة ، التى استدعاها إلى مقر قيادة المخابرات العلمية ، واستمع إليه الجميع فى اهتمام بالغ ، وهو يتابع :

- الغرباء الذين كنا نستعد لمواجهتهم ، منذ زمن طويل ، والذين يسعون لاحتلال عالمنا ، كما فعل آخرون ، منذ عدة سنوات ، نجحوا فى التسلل إلينا ، وفى احتلال جسد أهم وأخطر رجال الدولة .

وصمت لحظة ، ليضمن كامل انتباههم ، قبل أن يضيف فى حزم :

- رئيس الجمهورية نفسه .

اتسعت عيونهم جميعًا فى ذعر ، وتبادلوا نظرة هلعة ، وسرت بينهم همهمات متعارضة ، مختلطة ، فهتف الوزير :

- أعلم أنها صدمة قاسية لنا جميعًا ، وكارثة لا فكاك منها ، ولكن هذا ما فرضه الواقع ، ومهمة الجندى الوفى أن يتقبَّل الحقائق ، وأن يقاتل فى سبيل وطنه ، مهما كانت صفة العدو وهيئته ..

كان التوتر قد بلغ منهم مبلغه ، إزاء تلك الصدمة غير المتوقَّعة ، والوزير يتابع :

- لن يكون الأمر سهلاً أبدًا ، ففى هذه المرة لن نواجه عدوًا واضحًا ، أو كتائب من الجنود ، وإنما سنكون مضطرين لمواجهة عدو غير بشرى ، يحتل جسد رمز الوطن .. جسد رئيس جمهوريتنا المحبوب .

قال أحد ضباط الصاعقة ، فى توتر بالغ :

- معذرة يا سيادة الوزير ، ولكن من الصعب علينا أن نتخيَّل أنفسنا ، ونحن نهاجم رئيس جمهوريتنا !! هذا يبدو أشبه بانقلاب عسكرى .

هتف الوزير فى حماسة :

- هذا بالضبط ما سعت إليه ، وخطَّطت له تلك الظلال اللعينة ، عندما سعت لاحتلال جسد رئيس الجمهورية بالذات ... أن تضعنا فى ذلك الجحيم من القلق والتردُّد .. إنها تعلم أنه من الصعب علينا جميعًا أن نرفع أسلحتنا فى وجه رئيس جمهوريتنا ، رمز الدولة ، وأكبر سلطة فيها .. وتردُّدنا هذا سيضيع منا الوقت الكافى ، لتنظم هى صفوفها ، وتثبِّت أقدامها ، وتضرب ضربتها ، التى نفقد بعدها أمننا وأماننا ، وحريتنا نفسها إلى الأبد .

أثار حديثه المزيد من توترهم وحيرتهم فى نفوسهم ، فعادت تلك الهمهمات تتردَّد بينهم ، وهم يتبادلون النظرات العصبية ، قبل أن يهتف الوزير :

- ولكننا لن نسمح لهم أبدًا .. سنفسد خطتهم بقرار حازم حاسم ، من أجل حريتنا .

ثم ضمَّ قبضته ، ولوَّح بها فى الهواء ، صائحًا :

- من أجل (مصر) .

كان لعبارته الأخيرة تأثيرها القوى على الرجال ، فانتزعت منهم كل تردُّد وتوتر ، وجعلتهم يرفعون أسلحتهم ، مطلقين هتافاتهم ، التى تألَّقت إثرها عينا الوزير ، وهو يقول بنفس الحماسة المصطنعة :

- هيا يا رجال .. دعونا نفسد خطة الغزاة .

وفى شوارع العاصمة ، وبينما انطلق أذان الفجر من مآذن الجوامع ، تدفقت قوات الصاعقة تشق طريقها ، إلى القصر الجمهورى الجديد ، وعلى رأسها وزير الدفاع ، الذى استقل سيارة مصفحة خاصة ، بصحبة اثنين من قادة فرق الصاعقة ، لاذا بالصمت التام معظم الوقت ، حتى لاح القصر الجمهورى من بعيد ، فغمغم أحدهما فى توتر :

- أتعشم أن تكون واثقا مما أخبرت الرجال به يا سيادة الوزير ، وإلا فالمصير الذى ينتظرنا مظلم للغاية .

أكمل القائد الثانى فى عصبية :

- سنعتبر قادة انقلاب عسكرى ، ضد نظام الحكم الشرعى .

زمجر الوزير ، قائلاً :

- كفاكما ترددًا .. إننا نفعل هذا من أجل (مصر) .

تبادل الرجلان نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يسأل أحدهما :

- ولكن كيف علمت بالأمر يا سيادة الوزير ؟!

سأله الوزير فى عصبية :

- أى أمر ؟!

قال الرجل ، فى شىء من التحفز :

- احتلال الظلال جسد الرئيس .

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وهو يقول :

- لقد علمت ..

سأله القائد الآخر :

- كيف ؟!

كان سؤالا محرجا للغاية ، أتى فى وقت غير مناسب على الإطلاق ، مما جعل الوزير يمط شفتيه ، قائلا فى عصبية :

- أنسيت أننى وزير الدفاع يا رجل ، وأن لى اتصالات عديدة ، تتيح لى معرفة ما يعجز عنه الآخرون .

أسلوب جوابه أثار الشك فى نفس الرجلين ، فتبادلا نظرة أخرى ، قبل أن يقول الأول ، وقد تسلل إلى صوته شىء من الحزم :

- ربما كان هذا الجواب كافيا ، فى ظروف أخرى يا سيادة الوزير ، ولكنك تطالبنا الآن بمحاصرة القصر

الجمهورى ، وإلقاء القبض على رئيس الجمهورية شخصيًا ، ومن العسير أن نفعل هذا ، دون أن نحصل على أجوبة شافية لتساؤلاتنا وشكوكنا .

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وطال صمته بعض الوقت ، قبل أن يقول :

- فليكن .. أظننى مضطر للاعتراف بجزء من الحقيقة .

سرت موجة من التوتر فى جسدى القائدين ، فى اللحظة التى ازدرد فيها الوزير لعابه ، قبل أن يتابع :

- إننا نراقب الرئيس ، منذ بدأ هذا الأمر .

هتف أحد الرجلين ذاهلاً :

- تراقبونه ؟!

فى حين قال الآخر فى حدة :

- هذا يتعارض تمامًا مع القانون والدستور يا سيادة الوزير .

أشار الوزير بيده ، قائلاً :

- الضرورات تبيح المحظورات يا رجل .. مراقبتنا هذه هى التى كشفت لنا ما حدث فى حينه .

سأله الأول فى عصبية :

- هل رأيتم تلك الظلال ، وهى تحتل جسد الرئيس :

أجابه الوزير فى حزم :

- وسجلنا كل لحظة منها أيضًا .

ران صمت ثقيل عجيب على السيارة المصفحة ، بعد أن نطق الوزير عبارته الأخيرة ، ثم قطع أحد الرجلين ذلك الصمت ، وهو يقول فى حزم :

- هل يمكننا رؤية ذلك التسجيل يا سيادة الوزير ؟!

مط الوزير شفتيه ، وقال فى صرامة :

- كلاً .. لا يمكنكما هذا .

تبادل الرجلان نظرة عصبية هذه المرة .. نظرة طويلة نسبيًا ..

ومع تلك النظرة ، اتخذا قرارًا مشتركًا .. وحاسمًا ..

وعلى لسان أحدهما ، جاء هذا القرار فى صرامة :

- معذرة يا سيادة الوزير ، ولكننا نرفض الاشتراك فى هذه العملية . التفت إليهما الوزير فى حدة ، وهو يقول :

- ماذا ؟! ترفضان الاشتراك ؟! أى قول هذا يا قائدى الصاعقة ؟! وأى توقيت تتراجعان فيه ؟! لقد وصلنا

إلى نقطة الهجوم بالفعل ، وها هو ذا القصر الجمهورى على مرمى البصر ! كيف ستواجهان جنودكما ؛ الذين تبعوكما إلى هنا ؟!

أجابه الآخر :

ـ ليس أمامنا سوى حل واحد .

ثم أضاف فى صرامة :

ـ سنبلغهم الحقيقة .

هتف الوزير :

ـ أية حقيقة ؟!

قال الأوَّل فى حزم :

ـ حقيقةَ أنك قد خدعتنا جميعًا يا سيادة الوزير .

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين تابع قائد الصاعقة فى غضب :

ـ خدعت قوات الصاعقة كلها ، لتقودنا إلى انقلاب عسكرى ، ضد نظام الحكم الشرعى ... انقلاب تسعى إليه وحدك .

واندفع القائد الثانى يقول فى حنق :

ـ ولكننا لن نشارك فى هذه الخيانة قط ، وسوف ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، ودون أن ينطق الوزير بحرف

واحد ، استلَّ مسدسه ، ورفع فوهته إلى جبهةَ قائد الصاعقة ، و ....

وضغط الزناد ..

واخترقت الأشعة القاتلة جمجمةَ الرجل ، من منتصف جبهته تمامًا ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وسقط فكه السفلى ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وفى غضب هادر ، هتف قائد الصاعقة الثانى ، وهو ينقضَّ على الوزير :

ـ أيها الـ ...

ولكن الوزير أدار فوهة مسدسه الليزرى إليه فى سرعة ..

وأطلق الأشعة ..

وانطلقت من حلق قائد الصاعقة شهقة ألم ، وجسده يرتدَّ فى عنف ، ليرتطم بزجاج نافذة السيارة ، ثم يسقط مرة أخرى إلى الأمام جثة هامدة ..

وفى سرعة ، أدار الوزير فوهة مسدسه نحو السائق ، الذى هتف فى رعب هائل :

ـ لا .. أنا لم أفعل شيئًا .

أجابه الوزير فى شراسة :

ـ لقد كان دفاعًا عن النفس .. الظلال احتلت جسديهما ، وكان من المحتم أن أدافع عن نفسي بقتلهما .. هل تفهم ؟!

أجاب السائق بصوت شاحب كوجهه :

ـ أفهم يا سيادة الوزير .. أفهم .

قال الوزير فى حدة :

ـ هذا ما ستخبر به الجميع .. وما ستقسم على حدوثه أيضًا ..

هتف السائق ، وهو على شفا انهيار :

ـ أقسم يا سيدى الوزير .. أقسم .

غرس الوزير فوهة مسدسه الليزرى فى عنقه ، وهو يقول :

ـ أياك أن تخالف هذا بحرف واحد .. إننى مستعد لشق طريقى إلى هدفى بالدم .. هل تفهم ؟! بالدم .

أجاب السائق فى انهيار :

ـ أفهم يا سيادة الوزير .. أفهم .

تراجع الوزير إلى مقعده ، وأزاح جثة أحد قائدى الصاعقة ، مغمغمًا :

ـ عظيم .. توقف هنا إذن .

ضغط الرجل فرامل السيارة فى قوة ، غير مصدق أن الوزير سيعفى عنه ، فى حين فتح هذا الأخير باب السيارة ، وبرز منه ، مشيرًا لرجال الصاعقة ، قائلاً :

ـ الآن .

كانت سيارته مصفحة ، عازلة للصوت ، ذات زجاج عاكس ، يتيح الرؤية فى اتجاه واحد فحسب ، من الداخل إلى الخارج ، لذا فلم ير أحد ما حدث داخلها ، ولم يشعر مخلوق واحد بعملية الاغتيال الغادرة لقائدى الصاعقة ..

ولهذا تحرك الرجال فى سرعة ، ودون إلقاء سؤال واحد ..

وفى سرعة وخفة ومهارة ، راحت قوات الصاعقة تحاصر القصر الجمهورى ، وتتخذ مواقعها فى دقة ، بحيث يمكنها السيطرة على كل مداخله ومخارجه ..

ثم قام فريق خاص بقطع كل خطوط الاتصال السلكية ، وزرع أجهزة شوشرة ، لإفساد الاتصالات اللاسلكية ، وحتى المحمولة على الليزر ..

ولقد استسلم رجال الحرس الجمهورى دون مقاومةَ تذكر تقريبًا ..

ربّما بسبب المفاجأة ..

أو لأن رجال الصاعقة كانوا يفوقونهم قوة وعددًا ..

المهم أن السيطرة على الموقف كانت كاملة ..

وبسرعة مدهشة ..

ولقد تألّقت عينا الوزير ، على نحو مدهش ، عندما هرع إليه أحد ضباط الصاعقة ، وأدّى التحيةَ العسكرية فى حماس ، قائلًا :

- تمت عملية السيطرة يا سيادة الوزير .. الطريق إلى داخل القصر الجمهورى آمن تمامًا .

أومأ الوزير برأسه فى زهو ، قائلًا :

- عظيم .. عظيم .

ثم شدّ قامته ، واتجه فى خطوات واسعة سريعة ، نحو القصر الجمهورى ، وعبر بوّابته فى زهو ظافر ، دلف إلى صالته الواسعة ، التى سيطر عليها فريق من رجاله ، أدّوا له جميعًا التحية العسكرية ، وهو

يمرّ بهم ، ويستقل المصعد الخاص بالرئيس ، إلى الطابق الثانى ، حيث يجلس هذا الأخير ..

وفى الطابق الثانى ، استقبلته دموع (كارم) ، كبير السعاة ، الذى أشاح بوجهه عنه فى مرارة ، فقال له الوزير فى غلظة :

- أغرب عن وجهى أيها الشيخ المأفون .. لا أريد رؤيةَ وجهك ثانية أبدًا .. هل تفهم ؟!

أومأ (كارم) برأسه فى أسى ، مغمغمًا :

- أفهم يا سيادة الوزير .. أفهم .

صاح به الوزير فى صرامة :

- رئيس الجمهورية أيها المأفون .. هل تفهم ؟! إياك أن تخاطبنى بلقب الوزير هذا ثانية .

أومأ (كارم) برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

- إنك لن ترانى ثانية ، على أية حال يا سيّدى .

قالها ، وغادر المكان كله ، فى خطوات ثقيلة حزينة ، فى حين عاد الوزير يشدّ قامته فى اعتداد مزهو ، قبل أن يدفع باب حجرة مكتب رئيس الجمهورية ، ويدلف إليها بخطوة عسكرية واسعة ، قائلًا :

ـ صباح الخير يا سيادة رئيس الجمهورية .

تطلع إليه الرئيس فى صمت ، دون أن يجيب تحيته ، فاتسعت ابتسامة الوزير ، وهو يضيف فى سخرية شامتة :

ـ سابقًا .

وكانت عبارته الأخيرة هذه تعنى أن الانقلاب العسكرى قد انتهى بنجاح ..

ساحق .

★ ★ ★



٥ ـ المقاومة ..

ثانية واحدة مرت ، بين آخر حرف نطقه (باسل) ، ونقله عبر جهاز الاتصال الليزرى ، وانفجار ذلك الجهاز ..

وفى كل الأحوال ، تعتبر الثانية وقتًا قصيرًا للغاية .. إلا فى حالة (أمجد صبحى) ..

ففى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها الأزيز ، أدرك (أمجد) ما سيحدث بالضبط ، فألقى جهاز الاتصال الليزرى بعيدًا ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته نحو السيارة (الجيب) ، وقفز يحتمى بها ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها الانفجار ..

وعلى الرغم من صغر حجم جهاز الاتصال ، كان الانفجار عنيفًا ، حتى إنه دفع (الجيب) لنصف متر كامل ، وأطاح بالجندى المصاب لأربعة أمتار كاملة ، ليرتطم بالأرض فى قوة ، ويفقد الوعى على الفور ..

وفى دائرة نصف قطرها عشرة أمتار كاملة ،

انتشرت سحابة من الدخان والغبار ، على نحو أدهش (أمجد) ، الذى هتف :

- رباه ! مم صنعوا هذا الشىء ؟!

لم يكن يدرى أن المسئول عن كل هذا هو بطارية الطاقة الأيونية ، التى تمدّ جهاز الاتصال الليزرى بما يحتاج إليه ، لبث رسائله ، على الرغم من وجود القبة الكهرومغنطيسية ، المحيطة بالمدينة ؟!

وربما لم يهتمّ بكل هذا طويلاً ..

فقبل حتى أن تنقشع سحابة الدخان والغبار ، هبّ من مكانه ، يفحص الجندى المصاب ، ثم لم يلبث أن حمله إلى (الجيب) ، ووضعه بعناية فى مقعدها الخلفى ، ووثب إلى مقعد القيادة ، وأدار المحرك ، وهو يردّد فى أعماقه عبارة واحدة ..

لا بد من إنقاذ الرئيس ..

وبأى ثمن ..

ولكن كيف ؟!

كيف يمكن أن يغادر المدينة ، ويعبر القبة الكهرومغنطيسية المحيطة بها ؟!

كيف ؟!



ثم لم يلبث أن حمله إلى (الجيب) ، ووضعه بعناية فى مقعدها الخلفى ، ووثب إلى مقعد القيادة ..

استرجع عقله بسرعة كل ما مرَّ به من أحداث ، منذ وصل إلى المكان ، قبل أن يتوقَّف عند عبارة بعينها ..

عبارة نطقها (باسل) فى البداية ..

لقد أشار إلى أنه يستخدم سيارته بالتحديد ؛ لأن الجهاز المثبت بها يتيح له عبور درع الطاقة ..

إنها سيارة (باسل) إذن ..

سيارته هى الوسيلة الوحيدة للخروج من المدينة .. ومن الأزمة ..

انطلق بالسيارة عند هذه النقطة ، وتجاوز مبنى البريد ، متجهًا نحو مبنى آخر ، بدا واضحًا من بعيد ، على الرغم من الضوء الخافت ، المتسلل من الأفق ..

وعند ذلك المبنى ، أو قبل أن يبلغه بعشرة أمتار بالتحديد ، أوقف (الجيب) ، ووثب منها فى خفة ، حاملاً مدفعه الليزرى ، ثم راح يتحرك على أطراف أصابعه ، حتى لا يلمحه رجال الحراسة الثلاثة ، عند مدخل المبنى ..

وعندما أصبح على مسافة ثلاثة أمتار منهم ، التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره ، و ...

وانقضَّ بكل قوته ..

وكانت مفاجأة للرجال الثلاثة ، أن يجدوه أمامهم بغتة ، فارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية فى سرعة ..

ولكن (أمجد) وثب نحوهم ..

وفى جزء من الثانية ، استعاد جسده كل قدراته ومهاراته السابقة ، ووثبت قدمه تركل المدفع من يد أولهم ، فى نفس اللحظة التى حطمت فيها قبضته فك الثانى ..

ثم قفز (أمجد) فى الهواء ، ودار بجسده دورة رأسية عكسية ، لم يكن يتصوَّر أنه ما زال قادرًا على أدائها ، بعد كل هذه السنوات ، وكل ما بجسده من إصابات ..

ومع تلك الدورة ، تفادى طلقة أشعة قاتلة ، وشعر بثانية تمزَّق الرجل اليسرى لسرواله ، وتحرق فخذه على نحو مؤلم ، قبل أن يستقرَّ على قدمه اليمنى ، ويدور باليسرى المصابة ، ليركل المدفع الآلى من يد الجندى الثالث ..

وفى سرعة وغضب ، استلَّ الجنديان خنجريهما ، وانقضا عليه ، وهما يطلقان صرخة قتالية عالية ، تكفى لزلزلة قلب أشجع الشجعان ..

وفى مهارة مدهشة ، وعلى الرغم من إصاباته ، تفادى (أمجد) طعنة خنجر الجندى الأوّل ، وقبض على معصمه بأصابع كالفولاذ ، ثم دار حول نفسه فى سرعة ، ليواجه الجندى بظهره ، وارتفع مرفقه ، ثم هوى بكل قوته ، فى معدة هذا الأخير ..

ومع الشهقة التى أطلقها الجندى ، مال (أمجد) بجسده كله إلى الأمام ، رافعًا الجندى على ظهره ، ثم ألقاه أمامه بكل قوته ، ليرتطم بزميله فى عنف ، ويسقط كلاهما أرضًا .

وقبل أن يستعيدا توازنهما ، وثبت قدما (أمجد) فى آن واحد ، فركلت الأولى فك الجندى الأوّل ، وحطمت الثانية أنف الثانى ..

ومع تلك الركلة المزدوجة ، انتهى القتال ..

ولثانية واحدة ، وقف (أمجد) يلهث ، ويلتقط أنفاسه ، وهو يتمتم :

ـ يبدو أنه لا مفرّ من الاعتراف يا (أمجد) .. لقد تقدَّم بك العمر ، ولم يعد من السهل أن تبذل كل هذا الجهد .

التقط نفسًا آخر عميقًا ، ثم استدار إلى المبنى ،

وابتسم وهو يصوِّب فوهة مدفعه الليزرى إلى رتاجه ، مغمغمًا :

ـ ولكنك ما زلت تصرّ على عدم استخدام أسلحتك .. يا لك من مكابر !!

قالها ، وضغط الزناد ..

ونسف الرتاج ..

وبقدمه ، دفع باب المبنى ، هاتفًا :

ـ ألانتما بخير ؟!

حدّق ضابطا الحرس الجمهورى فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف أحدهما ، وهو يحدّق فى الجنود الثلاثة ، الذين سقطوا أرضًا :

ـ ربّاه ! سيِّد (أمجد) .. هل فعلت هذا ؟!

هزّ (أمجد) كتفيه ، قائلاً :

ـ لم يكن الأمر بالصعوبة التى تتصوّرانها .

قال الآخر مبهورًا :

ـ هل تعتبر التغلب على ثلاثة من رجال الصاعقة أمرًا عاديًا .

أجابه (أمجد) فى حزم :

ـ سنناقش هذا فيما بعد ، أما الآن ، فعلينا أن

نتحرك بأقصى سرعة .. هيا .. التقطا مدفعين ليزريين ، واحمدا الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأن ذلك الوغد (باسل) قد انشغل برغبته فى التخلص منى ، فنسى أمركما مؤقتًا ، وإلا لكنتما جثتين هامدتين الآن .

التقط كل منهما مدفعًا ليزريًا بالفعل ، وانطلقا خلفه نحو (الجيب) ، وأحدهما يسأل فى توتر :

- الواقع يا سيد (أمجد) أننا نشعر بالدهشة ، لإسناد مهمة بالغة الحساسية كهذه ، إلى شخص مثل العقيد (باسل بهجت) ، فملفه ليس مشرفًا على الإطلاق ، وسوابقه تشير إلى أنه شخص دموى شرس ، لا يصلح لتولى مهمة تتعلق بمدنيين آمنين .

قال (أمجد) ، وهو يثب إلى مقعد القيادة :

- بل هو الشخص المناسب تمامًا للمهمة .

بدت الدهشة على وجهى الضابطين ، ونقلها أحدهم إلى لسانه ، قائلاً :

- المناسب لها ؟!

أجابه (أمجد) ، وهو يدير محرك السيارة :

- بالتأكيد ، فالمهمة الأصلية حقيرة مثله .

كان كل شىء حولهما يملأ نفسيهما بالدهشة والحيرة والتوتر ، حتى ذلك الجندى المصاب ، فى المقعد الخلفى ، حتى إنهما لاذا بالصمت ، وتبادلا نظرة عصبية ، دون أن يسأل أحدهما عما يعنيه (أمجد) ، الذى تابع وحده :

- إنهم يقومون بانقلاب عسكرى .

شهق الضابطان فى ارتياع ، وهتف أحدهما فى حزم ، وهو يمسك مدفعه الليزرى فى قوة :

- رباه ! لا بد أن نبذل قصارى جهدنا لمنعهم إذن .

هتف الثانى :

- ومهما كان الثمن .

أجابهما (أمجد) ، وهو ينطلق بالسيارة :

- وهذا ما نسعى إليه بالفعل .. لقد أحاطوا المدينة بقبة كهرومغنطيسية ، ولن يمكننا الخروج منها ، إلا لو استولينا على سيارة (باسل) ؛ فهى وحدها مزودة بجهاز يقاوم القبة .

تبادل الضابطان نظرة أخرى ، ثم قال أحدهما :

- لا بد أن ينجح أحدنا على الأقل فى الخروج من المدينة .

كان (أمجد) يدرك جيدًا ما يعنيانه بقولهما ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- بالضبط .

لم يكن أحدهم بحاجة لقول كلمة إضافية ، بعد أن انحسم الأمر ؛ لذا فقد لاذوا جميعًا بالصمت ، والسيارة تنطلق بهم نحو الحى الراقى ..

ومن بعيد ، تلوّن الشفق بألوان الشروق ، معلنًا نهاية الليل ..

وبداية فصل جديد من الصراع ..

فصل سيشهد كل شراسة ووحشية البشر .. كلها ..

★ ★ ★

جذب (نور) إبرة مدفعه الليزرى فى حزم ، ليشحن خزان طاقته ، وهو يقول :

- لن نسمح لهذا الوغد بإكمال مؤامرته .

سألته (مشيرة) فى عصبية :

- وما الذى يمكنك أن تفعله يا (نور) ؟! إنك رجل واحد ، فى مواجهة جيش من الصاعقة ، ولقد تخلصوا من دروعهم الكهرومغنطيسية ، مما يعنى أن

(سلوى) لن يمكنها إفقادهم الوعى ، كما فعلت مع الآخرين .

قال (نور) فى صرامة :

- رجل واحد قد يصنع فارقًا يا (مشيرة) .. صدقينى .

هتفت (مشيرة) فى مرارة :

- وأين ذهب الآخرون ؟! أين (رمزى) ، والدكتور (حجازى) ؟! وأين زوجى يا (نور) ؟! أين (أكرم) ؟!

التفت إليها ، قائلًا :

- لست أدرى أين هم يا (مشيرة) .. صدقينى .. إننى أشعر بضعف ما تشعرين به من قلق من أجلهم ، ولكنها الحرب .

ردّد الأستاذ (حسن) مبهوتًا :

- الحرب ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- نعم يا أستاذ (حسن) .. وبكل أسف .. إنها الحرب .. ذلك الوغد (باسل) ومن خلفه ، أرادوا حربًا شعواء ، فى هذا البلد الآمن ، وواجبنا ألا نسمح لهم بهذا أبدًا .

غمغم الأستاذ (حسن) :

- ولكن مهاجمتهم الآن قد تعنى الموت .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- ربما يا أستاذ (حسن) .. ربما كان الموت هو الاحتمال الأكبر ، إذا ما بادرنا بالهجوم ، ولكن ضياع الأمنِ والأمان ، وضياع الحريـة والديمقراطية ، وكل ما بنيناه من حضارة وتقدم ، هو النتيجة الحتمية ، لو جلسنا هنا ساكنين .

انخفض صوت الأستاذ (حسن) ، وهو يقول :

- أتعنى أنك ستهاجمهم ، دون أدنى أمل فى النجاة ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

- بالضبط يا أستاذ (حسن) .. إننى أعلم أن هجومى على فرقة كاملة من رجال الصاعقة ، بمدفع ليزرى واحد ، تعنى الموت حتمًا ، ولكن كل ما آمل فيه ، هو أن أنفذ مهمتى بنجاح ، قبل أن ألقى مصرعى .

بكت (سلوى) فى مرارة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فى حين سألته (مشيرة) فى تردد :

- أية مهمة هذه يا (نور) ؟!

ارتسم الحزم والصرامة بكل صورهما على وجهه ، وهو يجيب :

- أن أحطم رأس الأفعى .

ردد الأستاذ (حسن) :

- رأس الأفعى ؟!

أجابه (نور) فى حزم أكبر :

- نعم .. العقيد (باسل) .

اتسعت عينا الأستاذ (حسن) بضع لحظات ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويلتفت إلى الظل الهائل ، هاتفًا فى حنق :

- وماذا عنه ؟! هل سيكتفى بالبقاء هنا ؟!

أشار (نور) إلى النافذة ، قائلاً :

- لقد بدأت الشمس رحلة الشروق .

سألته (مشيرة) فى حيرة :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابها ، وهو يختلس نظرة إلى (باسل) ورجاله ، من خلف أستار النافذة :

- إنهم لا يحتملون أشعة الشمس .

هتف الأستاذ (حسن) :

ـ لا يحتملون ماذا ؟!

ثم استطرد فى سخط :

ـ أيعنى أن جلالة الملك سينزل ضيفًا لدينا ، حتى مغيب الشمس ؟!

أجابه (نور) :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنكم ستؤمنون له مكانًا باردًا أيضًا .

انعقد حاجبا الأستاذ (حسن) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لا بأس أيها المقدَّم .. أنا مستعد لتقديم كل الخدمات الممكنة لجلالته ، على الرغم من أننى مازلت أفتقر إلى الثقة به بنواياه ، ولكن بشرط واحد .

التفت إليه (نور) ، يسأله :

ـ وما هو ؟!

أجابه بكل صرامة الدنيا :

ـ أن يخبرنا أين (هيثم) ، وما الذى أصابه بسببهم ؟!

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ اطمنن يا أستاذ (حسن) .. (هيثم) بخير .

قال الأستاذ (حسن) فى حدة :

ـ أريد دليلًا واحدًا .

« هل يكفيك هذا ؟! »

لم يكد الصوت يخترق أذنيه ، حتى انتفض جسده فى عنف ، فى حين صرخت زوجته بفرحة غامرة ، وهى تعدو نحو مدخل المطبخ :

ـ (هيثم) .

اندفع الصبى نحوها بدوره ، وألقى كل منهما نفسه بين ذراعى الآخر ، واحتضنته (مروة) فى سعادة ولهفة ، هاتفة :

ـ حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

وتفجَّرت الدموع من عينيها فى غزارة ، فى حين هرع الأستاذ (حسن) نحو الصبى ، وحاول كتمان دموعه ، وهو يقول فى صرامة مفتعلة :

ـ أين كنت أيها الصبى المشاغب ؟! لقد أقلقتنا عليك بشدة ، و ...

عجز عن كتمان دموعه ، فتركها تنساب على وجهه ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

رفع (هيثم) عينيه إليه فى امتنان ، وهو يقول :

- أشكرك يا عماه .. أشكرك كثيرًا على اهتمامك .

هتف الأستاذ (حسن) :

- تشكرنى ؟! أى قول هذا يا بنى ؟! إنك .. إنك ..

لم يستطع إكمال عبارته ، فى هذه المرة أيضًا ، فربَت على كتفه فى حرارة ، قائلاً :

- المهم أنك بخير .

ارتفع حاجبا الصبى فى تأثُّر ، ثم لم يلبث أن أدار عينيه إلى الظل الهائل ، قائلاً فى شىء من المرح :

- أرى أنكم قد استضفتم جلالة الملك .

هتف الأستاذ (حسن) فى دهشة :

- رباه ! كيف تعرَّفت هذا الظلّ ؟!

أجابه (نور) :

- لقد استضافه فى جسده ، قبل أن تستضيفوه فى مسكنكم .

قال (هيثم) فى حماسة :

- لم تكن مجرَّد استضافة .. لقد امتزج عقلانا ، وصرنا كيانًا واحدًا ، حتى إن حارسيه الخاصين كانا

يتبعانى طوال الوقت ، لحمايتى والذود عنى ضد أية مخاطر .

ثم لوَّح بذراعيه هاتفًا :

- ثم فجأة ، وجدت نفسى أستيقظ فى الحديقة التذكارية ، وقد غادر الملك جسدى ، و ...

بتر عبارته بغتة ، ليقول فى توتر :

- رباه ! ولكن الشمس على وشك أن تشرق .. لا بد أن نجد مكانًا آمنًا له بسرعة .

هتفت زوجة الأستاذ (حسن) فى حماسة :

- عندى مكان يناسبه .

ثم استدركت فى سرعة :

- لو أنه يفضّل البرودة .

أجابها (نور) فى حزم :

- إنه كذلك ؟!

اتجهت نحو القبو فى سرعة ، قائلة :

- فى هذه الحالة ستناسبه الثلاجة الكبيرة فى القبو .

ثم التفتت إلى الظلّ ، مستطردة فى ارتباك :

- معذرة يا جلالة الملك ، ولكن ...

قاطعها (نور) فى حزم :

ـ لا بأس .. إنها تناسبه .

استدار إليه الظلّ فى بطء ، وخيّل إليهم أنه قد تبادل معه نظرة طويلة ، قبل أن يقول (نور) :

ـ اطمئن .. كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .

ظلّ ذلك الظلّ الهائل يتبادل معه النظرة نفسها ، بعد أن انتهى (نور) من عبارته ، ثم لم يلبث أن انساب فى نعومة ، ليتبع (مروة) إلى القبو ، فهزّ (هيثم) كتفيه ، قائلاً :

ـ أمر عجيب .. لولا دقة الموقف وصعوبته ، لبدا أشبه بجزء من فيلم هزلى .. ملك عالم الظلال يقيم فى ثلاجة القبو ، حتى تغرب الشمس .. ألا يثير هذا الضحك فى نفوسكم ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ لا شىء يمكن أن يثير فى نفسى الضحك ، فى مثل هذه الظروف .

كان من الواضح أنه قد تأهب للقتال ، فغمغمت (سلوى) فى مرارة ، ودموعها تغرق وجهها :

ـ ألا توجد وسيلة أخرى يا (نور) ؟!

التفت (نور) إليها فى تأثر ، ثم اتجه نحوها ، وركع على ركبتيه أمامها ، ومسح دموعها بأصابعه ، قائلا فى حنان :

ـ صدقينى يا حبيبتى .. لو أنه هناك وسيلة أخرى ، لما ترددت فى اللجوء إليها ، ولكننى أفعل هذا من أجلك .. من أجل (نشوى) .. من أجل طفلنا القادم ، الذى أكره أن ينشأ فى عالم سيطرت عليه الخيانة والمؤامرات .

قالت باكية :

ـ ولكن موت (باسل) وحده لن يحل المشكلة ..

هزّ رأسه ، قائلا :

ـ بالتأكيد ، ولكن من سيتولى القيادة بعده ، لن يكون أكثر قسوة ووحشية بالتأكيد .

قالت (مشيرة) فى توتر :

ـ وماذا لو انتظرت لترى ما ستسفر عنه الأمور ؟!

نهض ، قائلاً :

ـ أية أمور ؟! منذ بدأت هذه المأساة ، والأمور تسير من سيئ إلى أسوأ ، على يد ذلك الوحش الآدمى ، الذى لا يرتوى أبدًا من دماء ضحاياه ، ولا يشبع من القتل والتدمير قط ، و ...

قاطعه الأستاذ (حسن) فى توتر ، وهو يختلس نظرة عبر النافذة :

ـ معذرة للمقاطعة أيها المقدَّم ، ولكن يبدو أن الوحش الآدمى ، الذى تتحدَّث عنه ، قد رصد شيئًا ما بخصوصنا .

أسرع (نور) إلى النافذة ، ليرى ما يشير إليه (حسن) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما رأى (باسل) يفحص آثار أقدامهم ، عند حطام فيلا الدكتور (وائل) ، بصحبة اثنين من رجاله ، ثم يلتفتون إلى فيلا الأستاذ (حسن) ، الذى تراجع ، مغمغمًا فى عصبيةٍ شديدة :

ـ ربَّاه ! لقد أدركوا أننا نجحنا فى الفرار ، قبل أن تنسف تلك الحوامات الفيلا .

كان الغضب يبدو واضحًا على وجه (باسل) ، وهو يشير إلى رجاله ، الذين هرعوا إليه ، فأشار إلى فيلا الأستاذ (حسن) فى صرامة ..

وإثر إشارته ، اتجه فريق من الرجال نحو الفيلا ، وهم يشهرون مدافعهم الليزرية ، فى تحفز تام ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ..

ففريق الرجال ، فى مساره هذا ، كان يصنع حاجزًا ، بينه وبين الهدف الرئيسى ، الذى يسعى إليه ..

ذلك الوحش الآدمى ..

(باسل) ..

وفى توتر لا محدود ، هتفت (مشيرة) :

ـ ربَّاه !! إنهم يهاجموننا .

وارتجف صوت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ لم يعد هناك مفر .

أما الأستاذ (حسن) ، فقد انعقد حاجباه لحظة فى شدة ، ثم لم يلبث أن استدار يلتقط مدفعًا ليزريًا ، كان قد احتفظ به ، من مدافع رجال الصاعقة ، وهو يقول فى حزم :

ـ فليكن أيها المقدَّم .. فليؤد كل منا واجبه .

ثم استدرك ، وهو يجذب إبرة المدفع الليزرى ، ليشحن خزان طاقته ، مستطردًا :

ـ على الرغم من أننى مازلت أعترض على انسياقك وراء ذلك الظلّ ، الذى تؤكِّد بنفسك أن هدفه الرئيسى هو الغزو .

التفت إليه (نور) لحظة ، ثم قال :

ـ لم أقل أبدًا إن هدف تلك الظلال هو الغزو .

قالت (مشيرة) فى دهشة :

ـ كيف يا (نور) ؟! لقد سمعناك جميعًا تؤكِّد أن السبب فى كل ما يحدث هو الغزو .

أجابها (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد .. سبب ما يحدث هو الغزو بالفعل ، ولكن الغزاة لم يكونوا أبدًا من عالم الظلال .

سأله الأستاذ (حسن) فى دهشة :

ـ من الغزاة إذن أيها المقدَّم ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم ، وهو يراقب رجال الصاعقة ، الذين يتجهون نحو الفيلا مباشرة :

ـ نحن أيها السادة .. نحن الغزاة .

وعلى الرغم من كل ما يحيط بهم ، ومن الموت الذى يقترب منهم فى سرعة ، سقط المدفع الآلى من يدى الأستاذ (حسن) ، واتسعت عيون الجميع فى ذهول ..

فقد كانت المفاجأة أكبر مما يمكنهم احتماله ..

أكبر بكثير .

★ ★ ★

٦ ـ الصراع ..

على الرغم من ثقة وزير الدفاع الشديدة ، فى أنه قد سيطر تمامًا على الموقف ، وأن حكم البلاد صار مضمونًا ، بعد احتلاله القصر الجمهورى نفسه ، إلا أن الهدوء الذى بدا على رئيس الجمهورية ، فى هذه الظروف ، أثار فى نفسه لمحة من القلق ، جعلته يقول له فى عصبية :

ـ هل تتوقَّع نجدة ما ؟!

أجابه الرئيس فى هدوء ، وهو يجلس خلف مكتبه :

ـ بل أتوقَّع منك أن تثوب إلى رشدك ، وتتراجع عما تفعله يا وزير الدفاع .

قال الوزير فى سخرية :

ـ أتراجع ؟! الآن ؟! وبعد أن فعلت ما فعلت ؟! لا يا رئيس الجمهورية السابق .. لم يعد التراجع ممكنًا الآن ، فالنتيجة واحدة فى كل الأحوال .. بل لقد أثبتَ أن المضى قدمًا يحقق نتائج أفضل من التراجع .

أشار الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ ولكن قرار الانقلاب لم يكن مدروسًا بعناية أيها الوزير .. سابقًا ؛ فلقد اتخذته بعد أن تعقَّدت الأمور ، وبعد أن شعرت بأننى أتحرَّك ضدكم ، ومثل هذه القرارات البالغة الخطورة ، لا يمكن اتخاذها بهذه السرعة ، ولا على هذا النحو العشوائى .

هزَّ الوزير رأسه ، وقال وهو يجذب مقعدًا ، ويجلس أمام مكتب الرئيس ، واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى :

ـ ربما ، ولكن لا تنس أننى هنا بالفعل .. فى القصر الجمهورى .

مال الرئيس إلى الأمام ، وهو يقول :

ـ فليكن أيها الوزير .. يمكننا نسيان هذا ، والتظاهر بأنه لم يحدث ، ويمكننا أيضًا أن نتجاهل اعتقالك للقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ورئيس مركز الأبحاث ، وحتى قائد الحرس الجمهورى ، بشرط أن تعيد جنودك إلى ثكناتهم ، وتغادر هذا المكان على الفور .

ابتسم الوزير فى سخرية ، قائلاً :

ـ يا له من عرض سخى ! ولكنك لم تكمل الأمر أيها الرئيس ، فبعد رحيلى مع جنودى من هنا ، ستصدر أمرًا باعتقالى وإعدامى .. أليس كذلك ؟!

هزَّ الرئيس رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ بل أعدك أن أكتفى بإقالتك من منصبك .

هتف الوزير ، فى سخرية أكبر :

ـ هكذا ؟!

ثم انطلق يقهقه فى قوة ، مردِّدًا :

ـ يا للكرم !

ومال نحو الرئيس ، وقد توقَّفت ضحكته ، وحلَّت محلها لهجة شرسة قاسية ، وهو يقول فى حدة :

ـ ولماذا أقبل مثل هذا العرض فى رأيك ؟!

تراجع الرئيس ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ لأن هذا أفضل عرض ، يمكن أن تحصل عليه ، فى هذه الليلة .

ابتسم الوزير فى سخرية ، قائلاً :

ـ أفضل عرض ؟! يا لها من دعابة سخيفة أيها الرئيس ؟!

ثم نهض من مقعده فى حركة حادة ، مستطردًا فى صرامة :

- اسمع أنت عرضى أيها الرئيس .. وهو أيضًا عرض سخى للغاية ، فسأمنحك حياتك .. وربما حريتك أيضًا ، لو أنك أدليت ببيان رسمى ، عبر شبكات الإذاعة والتلفاز ، والهولوفيزيون أيضًا ، تعلن فيه تنازلك عن منصب رئيس الجمهورية لى شخصيًا ، واعتزالك الحياة العامة والسياسية .

أجابه الرئيس فى هدوء :

- الدستور لا يسمح بهذا .

قال الوزير فى حدة :

- الدستور ليس كتابًا مقدسًا ، ويمكننا تغييره .

قال الرئيس بنفس الهدوء :

- بكل تأكيد ، ولكن هذا يحتاج إلى وقت طويل ، وخبراء فى القانون الدستورى ، واجتماعات عديدة لمجلس الشعب ، لإقرار كل تغيير ، وحتى يحدث هذا ، فما زال الدستور ينصّ على أن يتولى رئيس مجلس الشعب منصب رئيس الجمهورية ، عند موت هذا

الأخير أو اعتزاله ، إلى أن يتمّ اختيار أو انتخاب رئيس جديد(*) .

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وامتدت يده إلى مسدسه الليزرى ، المعلق فى حزامه ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

- هذا يعنى أنك لا تمنحنى أى حل بديل .. سأضطر للاستيلاء على الحكم بالقوة .

ارتسمت ابتسامة هادئة واثقة ، على شفتى الرئيس ، وهو يقول :

- هذا لو كان لديك الوقت الكافى لتفعل .

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وتحركت يده فى سرعة ، لتلتقط مسدسه ، وقد أيقن من أن الرئيس يستند إلى حماية ما ، و ...

وفجأة ، وقبل حتى أن ترتفع يده بمسدسه ، برز من خلف الأريكة الكبيرة ، ومكتبة المعلومات ، ومن خلف الرئيس نفسه ، ثلاثة من رجال الحرس الجمهورى ، صوبوا مدافعهم الليزرية إلى الوزير ، وأحدهم يصرخ فى صرامة :

(*) حقيقة .

- ألق مسدسك ، وإلا نسفنا رأسك بلا رحمة .

ألقى الوزير مسدسه فى سرعة ، وهتف فى عصبية :

- المكان محاصر برجالى ، وأية حماقة منكم ستؤدى إلى ...

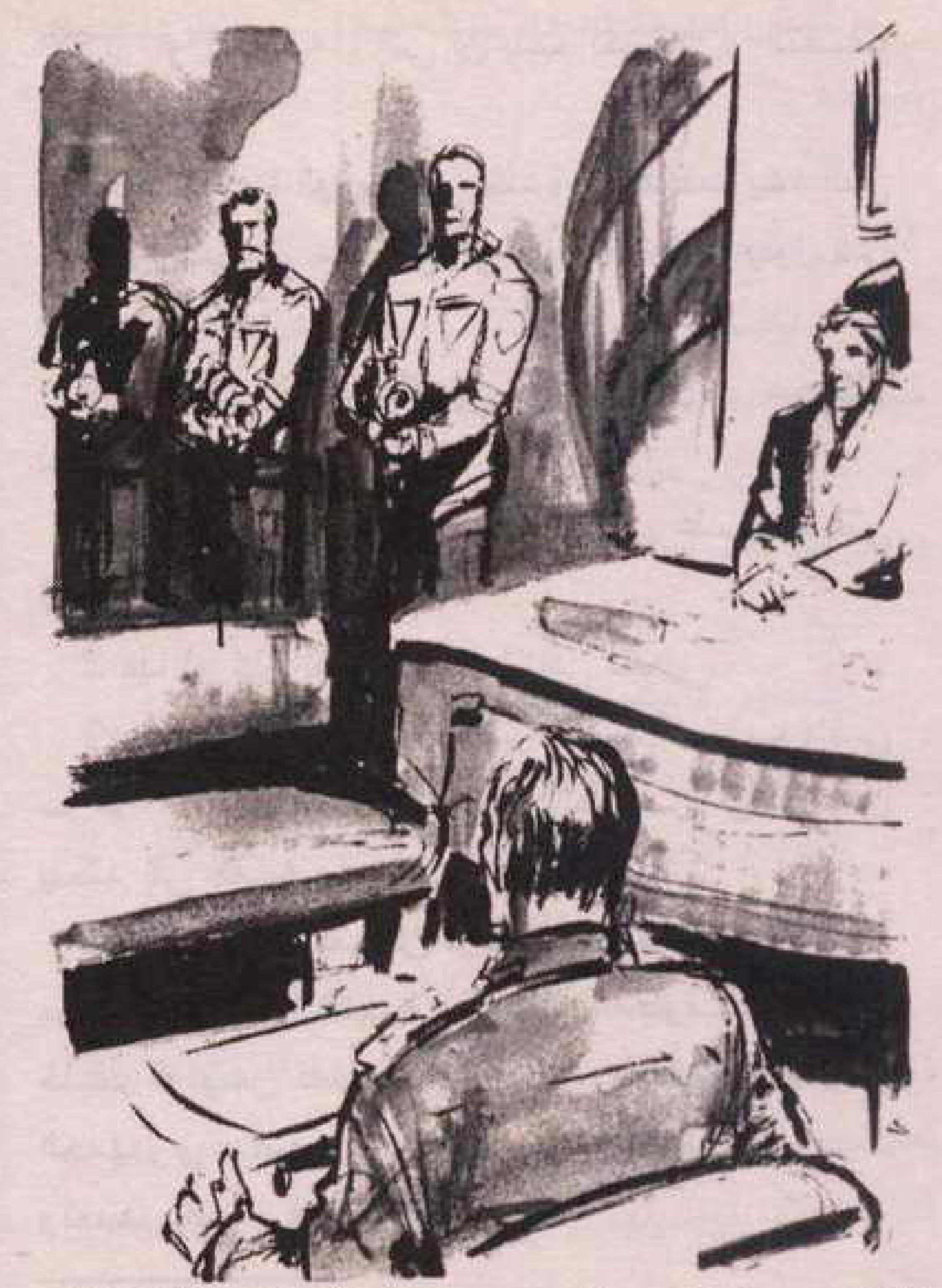
قاطعه الرئيس ، وهو ينهض من خلف مكتبه فى هدوء :

- لا تقلق بشأن رجالك .. الجيش سيتولى أمرهم .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع هدير عشرات الحوامات القوية ، التى برزت فجأة فى المكان ، وحلقت فوق رءوس رجال الصاعقة ، ومن إحداها انطلق صوت قوى ، يقول عبر مكبّر صوتى :

- تحذير إلى كل رجال الصاعقة .. أنتم تقومون بعمل غير قانونى وغير دستورى ، وتهدّدون السلطة الشرعية فى البلاد .. استسلموا فورًا .. ألقوا أسلحتكم ، قبل أن نضطر لتصفيتكم جميعًا .

وفى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها ذلك الصوت ، برزت عشرات الدبابات ، والعربات المصفحة ، التى تحيط برجال الصاعقة ، ومن خلفها أكثر من ألف رجل من المشاة ، بكامل عدتهم وعتادهم ..



ثلاثة من رجال الحرس الجمهورى ، صوّبوا مدافعهم الليزرية إلى الوزير ..

وكانت مفاجأة مذهلة لرجال الصاعقة ، الذين ألقوا أسلحتهم على الفور ، وهتف أحد ضباطهم ، وهو يرفع يديه فوق رأسه :

- إننا لم نقصد هذا .. لقد قادنا وزير الدفاع إلى هنا ، وأقنعنا أننا نفعل هذا من أجل (مصر) .

بلغ هتافه مسامع رئيس الجمهورية فى مكتبه ، فهزَّ رأسه ، مغمغمًا :

- يا للسخافة ! لقد ضلَّلت هؤلاء المساكين وخدعتهم أيها الوزير ، وقدتهم إلى هنا ، ليقوموا بأحقر وأسوأ عمل ، فى حياتهم كلها ، وهم يتصوَّرون أنهم يقاتلون من أجل الوطن .

احتقن وجه الوزير فى مرارة ، وغمغم بصوت اختنق فى حلقه ، من شدَّة الانفعال :

- كان ينبغى أن أدرك أنه هناك خدعة ما .. كان ينبغى أن أدرك هذا ، عندما أشرت إلى اعتقال القائد الأعلى ، والدكتور (ناظم) ، واللواء (سليمان) ، فلم يكن من الممكن أن تعرف هذا ، إلا لو أخبروك هم بأنفسهم .

ابتسم الرئيس ، قائلاً :

- هذا ما حدث بالفعل أيها الوزير .. سابقًا .. فلقد قامت أربع فرق من المدرعات والمشاة ورجال المظلات ، باستعادة السيطرة على مقر إدارة المخابرات العلمية ، قبل وصولك إلى هنا بدقائق قليلة ، وأسراك الثلاثة فى طريقهم إلى هنا الآن .

شعر الوزير بالأرض تميد تحت قدميه ، وغامت الدنيا أمام عينيه ، فانهار جالسًا على أقرب مقعد إليه ، وهو يغمغم :

- إذن فهى النهاية .

قال الرئيس فى حزم :

- بالتأكيد .

ثم عاد يجلس خلف مكتبه ، مستطردًا :

- كان ينبغى أن تقبل عرضى .

عضَّ الوزير شفتيه فى مرارة ، والرئيس يسأله :

- السؤال الذى يحيِّرنى بالفعل هو لماذا ؟! ما الأمر الخطير ، الذى قرَّرت القيام بانقلاب عسكرى لتخفيه ؟! ما هو ؟!

ترقرقت عينا الوزير بالدمع ، وهو يتمتم :

- سأخبرك يا سيادة الرئيس .. سأخبرك بكل شىء ..

ثم راح يروى ما حدث ، منذ ما يقرب من عام كامل ..

وكانت التفاصيل ، التى تنهمر من بين شفتيه مذهلة ..

للغاية !!

★ ★ ★

« هذا الكشف خطير للغاية أيها السيدان .. »

نطق وزير الدفاع العبارة فى حزم ، وهو يشاهد فيلمًا تسجيليًا ، لآخر نتائج الكشف العلمى الخطير للدكتور (وائل شوقى) ، فى قاعة العرض الخاصة ، فى مبنى إدارة المخابرات العلمية ، فوافقه القائد الأعلى والدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسيهما ، وقال الأخير فى حماسة :

ـ بالتأكيد ، فحتى الدراسات العلمية الفضائية المتقدمة ، لم يمكنها تخيل وجود الحياة ، فى كائنات أشبه بالظلال .

رمقه الوزير بنظرة استخفاف ، قائلا :

ـ ليس هذا ما قصدته .. لقد كنت أشير إلى النظرية الأساسية .. تلك الفجوة ، التى تصل بين عالمين .. إنها كشف مخيف للغاية .

قال القائد الأعلى :

ـ إنها فى رأيى أعظم كشف علمى ، منذ كشف (البنسلين)(★) .

قال الوزير فى سخرية :

ـ البنسلين ؟! إننى أتحدث عن الأمر ككشف عسكرى يا رجل .

التفت إليه الاثنان فى دهشة ، وتساءل الدكتور (ناظم) فى حيرة :

ـ كشف عسكرى ؟! وكيف يمكن أن يكون هذا كشفًا عسكريًا .

هتف الوزير فى حماسة :

ـ ألم تدرك هذا من البداية يا رجل ؟! ألم تدرك أن رجلكم قد وقع على أخطر سلاح عسكرى ، منذ بدء الخليقة .

قال القائد الأعلى مستنكرًا :

ـ أى كشف عسكرى ، وأى سلاح خطير هذا ، الذى يكمن فى عالم بدائى ، أمكننا إيجاد وسيلة اتصال به .

(★) البنسلين : عامل قوى من عوامل العلاج بالمواد الكيميائية ، وهو يستخرج من عفن الخبز ، واسمه العلمى (بنسيليوم نوتاتم) ، ولقد كشفه سير (ألكسندر فلمنج) ، عام ١٩٢٨ م .

نهض الوزير ، قائلاً :

- اليوم قادتنا فجوة إلى عالم بدائى ، وغدًا قد تقودنا إلى عالم أكثر تقدمًا .. من يدرى ؟!

قال الدكتور (ناظم) فى إصرار :

- ما زلت لا أرى أية صلة للأمور العسكرية بهذا .

ابتسم الوزير ابتسامة كبيرة ، وكأنه أستاذ متمرِّس ، يتلقى سؤالاً من تلميذ جديد ، وقال :

- ربما لأن نظرتك للأمور ليست عسكرية يا رجل ، أما أنا ، فأنظر إلى كل ما حولى من منظور عسكرى محض .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وراح يتحرَّك فى حجرة العرض الخاصة ، متابعًا فى حماسة :

- تصوَّروا معى عدوًا يهاجمنا ، ويحاول احتلال وطننا ، ونقوده نحن إلى منطقة يراها خالية ، هادئة من كل الاتجاهات ، بحيث يشعر بالأمان ، فيضع رحاله ، ويستقر جنوده ، ويخلد معظمهم للنوم بالفعل ، ثم فجأة ، تنفتح فجوة عجيبة ، على بعد متر واحد منهم ، وتتدفَّق منها جيوش جرارة ، تسيطر عليهم فى لحظات .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة دهشة ، قبل أن يغمغم الأوَّل :

- هذا لم يخطر ببالنا قط .

تابع الوزير بنفس الحماسة :

- ثم إنه هناك تلك الظلال نفسها .. إنها كائنات لا مثيل لها ، ومن المؤكَّد أنها تصاب بأمراض غير معروفة أيضًا ، ولو أننا قمنا بدراسة تركيبها ، ومعرفة ما يصيبها من أمراض ، فقد يقودنا هذا إلى سلاح بيولوجى جديد ، يمكن أن يبيد جيشًا كاملاً فى لحظات .

هتف الدكتور (ناظم) :

- ولكن الأسلحة البيولوجية محرَّمة دوليًا .

ابتسم الوزير فى سخرية ، قائلاً :

- حاول أن تقنع خصومنا بهذا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

- لا تتصرَّف بهذه السذاجة يا دكتور (ناظم) .. أنت تعلم مثلى أن كل الأسلحة المحرَّمة دوليًا يتم إنتاجها سرًا ، بصورة أو أخرى ، وعندما تنشب حرب ما ، لن يسألك أحد عن شرعية أو عدم شرعية

الأسلحة التى استخدمتها ، إذ إن الفيصل الوحيد فى النهاية هو من ربح ، ومن خسر .. هذا فقط يحسم الأمور .

بدا التوتر فى وجه القائد الأعلى وصوته ، وهو يقول :

- لست أعتقد أن تلك الظلال ستسمح لنا بفحصها ، على النحو الذى تتصوَّره أيها الوزير .

التفت إليه الوزير ، قائلاً فى سخرية :

- تسمح لنا ؟! ومن سيطلب موافقتها ؟!

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

- أعنى أننا لن نطلب إذنًا .. سنقتحم عالمهم ، ونستولى على كل ما نحتاج إليه .

هتف الدكتور (ناظم) :

- ربّاه ! هل تفكر فى شن الحرب على ذلك العالم ؟!

لوَّح الوزير بيده ، قائلاً :

- لن تكون حربًا بالمعنى المفهوم ؛ فذلك العالم بدائى كما أشرتم ، واقتحامنا إياه سيكون ، أشبه بنزهة محدودة .

تبادل الدكتور (ناظم) والقائد الأعلى نظرة عصبية ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى صرامة :

- سيادة الوزير .. يلوح لى أنك تتحدَث عن استعمار ذلك العالم .

ابتسم الوزير ، مجيبًا :

- بالضبط .. لقد فهمتنى بسرعة أيها القائد .

هتف القائد الأعلى :

- ولكن هذا الأمر محظور تمامًا ، بحكم القانون والدستور .. لا أحد سيوافق على اتخاذ قرار استعمارى ، ضد عالم لا يمكنه الإساءة إلينا قط .

أجابه الوزير فى صرامة :

- إننا لم نجر أبحاثنا على تلك الظلال بعد ، لنعلم ما إذا كان بإمكانها الإساءة إلينا أم لا ، ثم إن هذا الأمر المحظور يحدث منذ بدء الخليقة ، كلما التقى عالمان ، أو تم كشف عالم جديد .. استعد تاريخ (الولايات المتحدة الأمريكية) ، وستدرك أننى على حق .. لقد توصّلنا إلى عالم جديد يا رجل ، فإما أن نلعب فيه دور الأمريكيين ، أو نكتفى بدور الهنود الحمر ، وننزوى فى ركن مهمل ، حتى يطوينا النسيان .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

ـ هذا ينطبق أيضًا على (فلسطين) والإسرائيليين ، وطوال عمرنا نرفض احتلال الإسرائيليين لـ (فلسطين) ، ونؤيد مبدأ عدم جواز احتلال أراضى الغير بالقوة ، ومن غير المنطقى أن نتحوّل نحن فى النهاية إلى غزاة مستعمرين .

أجابه الوزير فى حزم :

ـ الوسيلة الوحيدة ، للاستفادة من هذا الكشف ، هى غزو ذلك العالم واستعماره .

قال القائد الأعلى :

ـ وماذا عن التعايش السلمى ؟!

هتف الوزير مستنكرًا :

ـ التعايش السلمى ؟! هل تسخر منى يا رجل ، أم أن هذه أسخف دعابة سمعتها فى حياتى كلها ؟! هل سمعت فى حياتك كلها عن حالة تعايش سلمى واحدة ، بين قوتين ، تتصلان ببعضهما ، وتختلفان عن بعضهما فى الوقت ذاته ؟!

ثم شدّ قامته ، مستطردًا :

ـ دعكما من هذه السخافات ، وأعيدا حساباتكما .. من أجل (مصر) ..

عادا يتبادلان نظرة متوترة ، قبل أن يقول القائد الأعلى :

ـ مازلت أصرّ على أن أحدًا لن يوافق على قرار الحملة الاستعمارية هذا .

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يسأل :

ـ هل تقصد القيادة السياسية ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ بالتأكيد .

صمت الوزير لحظة ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً فى صرامة :

ـ لو أردت نصيحتى ، فلا ينبغى أن تعلم القيادة السياسية بهذا الأمر قط .

هتف القائد الأعلى مستنكرًا :

ـ ماذا تقول أيها الوزير ؟!

اعتدل الوزير ، قائلاً :

ـ أقول : إن مشكلة القيادة السياسية هى أنها ، فى هذه الأيام ، قيادة مدنية بحتة ، لا يمكنها النظر إلى الأمور من منظور عسكرى ، وكل ما يهمها هو ترديد عبارات جوفاء ، وشعارات مضحكة ، لا يمكن أن

تفيد الوطن ، إذا ما جدّ الجدّ .. أما نحن العسكريين ، فتفكيرنا عملى محض ، وعلينا يقع العبء كله ، إذا ما حاق الخطر بالوطن .

وعاد يجلس على مقعده ، مستطردًا :

ـ فلو أخبرت القيادة السياسية بالأمر ، ستبادر بالرفض على الفور ، بحجة أن القانون والدستور يرفضان المبدأ الاستعمارى ، وستضيع علينا فرصة مضاعفة قوتنا بأسلحة رهيبة ، لا يعلم العدو عنها شيئا ، أو يمكنه كشف أمرها ، وعندما يجدّ الجدّ ، ويفاجئنا العدو بهجوم غاشم ، ستثور علينا القيادة العسكرية نفسها ، وتتهمنا بالتقصير والإهمال .. بل وربما حاكمتنا عسكريًا ، إذا ما حاقت بنا الهزيمة ..

ثم مال نحو القائد الأعلى ، متابعًا فى حزم :

ـ صدقنى .. ما نفعله لصالح القيادة السياسية أيضًا ، ولو لم تدرك هذا .. المهم أنه ، أولًا وأخيرًا ، لصالح (مصر) .

عبارته الأخيرة وحدها ، شقت له الطريق إلى عقليهما وقلبيهما ..

وبعد مناقشة محدودة ، استقرّ رأيهم على مساندته ..

وعلى غزو عالم الظلال ..

بكل قوتهم ..

وقبل أن يمضى شهر واحد ، كان فريق من مهندسى الجيش ، فى ثياب مدنية ، يشرفون على بناء فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، فى المنطقة التى وقع عليها اختياره بالتحديد ، وبالزوايا التى حدّدها بالضبط ، فى الحى الراقى ، بمدينة (السادس من أكتوبر) ..

وبعد ثلاثة شهور أخرى ، تسلّلت فرقة مسلّحة من القوات الخاصة ، تم اختيارها بعناية بالغة ، إلى الفيلا ، حاملة أوعية خاصة محاطة بغلاف كهرومغنطيسى ، مع قاذفات اللهب ، لبدء الخطوة الأولى للغزو ..

ولأوّل مرة ، انفتحت الفجوة بين العالمين ، فى الثالثة بعد منتصف الليل ..

وعبرت فرقة الصاعقة الخاصة إلى عالم الظلال ..

ولا أحد يدرى ماذا حدث هناك بالضبط ..

ولا كيف واجهت الظلال ذلك الغزو ..

ولكن الفرقة عادت فى النهاية ، وقد فقدت رجلين ، وحملت معها خمسة من تلك الظلال ، داخل الأوعية المحاطة بالغلاف الكهرمغنطيسى ..

ومنذ ذلك الحين ، بدأت عملية فحص الظلال ، واختبارها ..

وكانت مفاجأة للجميع أن يكشفوا قدرة الظلال على اختراق واحتلال الأجساد البشرية ..

بل وربما كانت مفاجأة للظلال نفسها ..

المهم أنها أثارت قلق الوزير ..

وشراسته ..

وفى رأيه ، أصبحت تلك الظلال عدوًا خطيرًا ، لا بد من السيطرة عليه وإخضاعه ..

وبأى ثمن ..

ولهذا تم إعداد فرق الصاعقة ، وتدريبها ، فى سرية تامة ، استعدادًا للقيام بالغزوة الكبرى ..

ولكن قبل موعد الغزو بأسبوعين فحسب ، حدث ما حدث ..

خطأ واحد ، فى تجربة الفجوة الأخيرة ، أدى إلى انفجار الفيلا ..

وفتح الفجوة ..

وعبور تلك الظلال إلى عالمنا ..

الشىء الذى لم يدركه الوزير ..

ولم يعلمه سوى (نور) و(هيثم) ..

هو أن أحد الظلال الخمسة ، التى عاد بها جنود الغزو ، من عالم الظلال ، لم يكن ظلاً عاديًا ..

لقد كان أمير عالمه ، وولى عهده ..

كان الابن الأكبر لملك عالم الظلال ..

وأن كل ما كانت تسعى إليه تلك الظلال ، منذ وصولها إلى عالمنا ، هو استعادته ..

استعادته فحسب ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا رئيس الجمهورية فى غضب شديد ، وهو يصيح فى وجه الوزير فى حدة :

- غزو ؟! هل كنتم تسعون لغزو عالم آخر ، دون أن يبلغنا أحد بالأمر ؟!

قال الوزير فى مرارة :

- كان هذا من أجل (مصر) .

صرخ الرئيس :

- لا .. لا تقل هذا .. (مصر) لن تبنى أمنها أبدًا على استعمار عالم آخر .. لن نسعى للأمان ، على حساب أمن وسلامة شعب آخر .

قال الوزير ، وصوته يرتجف :

ـ من الناحية العسكرية ، فإن ..

قاطعه الرئيس فى حدة :

ـ لا شأن لك بالناحية العسكرية .. الشىء الوحيد ، الذى ستحصل عليه منها هو محاكمة عسكرية صارمة وسريعة .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا :

ـ خذوه .. سيظل فى السجن الحربى ، حتى تنعقد المحاكمة .

سأله قائد الطيران فى اهتمام :

ـ وماذا عن القائد الأعلى ، والدكتور (ناظم) ؟!

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول :

ـ ليس لدينا ما يدينهما ، سوى شهادة الوزير ، فكل ما عثرنا عليه يخالف إصراره على تعاونهما معه فى هذا الأمر .

قال قائد المشاة :

ـ ربما لم يؤيداه فى أمر الانقلاب العسكرى ، ولكن بالنسبة للغزو ...

قاطعه الرئيس فى حزم :

ـ الغزو عملية عسكرية بحتة ، لا شأن لها بالمخابرات العلمية ، أو مركز الأبحاث .

سأله قائد المدرعات :

ـ وماذا عن تجارب الدكتور (وائل) ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ كلها كانت بتمويل من ميزانية الأبحاث العسكرية .

تبادل قادة أفرع الجيش نظرة صامتة ، قبل أن يقول قائد الطيران :

ـ هذا يعنى أنه لا يوجد دليل مادى واحد لإدانتهما يا سيادة الرئيس .

غمغم الرئيس :

ـ هذا صحيح .

ثم التفت فى سرعة ، هاتفًا :

ـ أين الوزير ؟! أريد الوزير بسرعة .

أسرع الرجال يعيدون الوزير إلى حجرة مكتب الرئيس ، الذى سأله فى توتر :

ـ قل لى يا هذا : كيف يمكننا إيقاف ما يحدث هناك ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ؟!

أجابه الوزير فى استسلام :

- العملية هناك يقودها العقيد (باسل بهجت) .

هتف قائد المشاة مستنكرًا :

- يا إلهى ! (باسل بهجت) ؟! كيف يمكن إسناد أية عملية ، إلى ذلك الوحش الآدمى ؟! إننى أشعر بالدهشة ، لأنه لم يفصل من الخدمة بعد ، على الرغم من ملف التجاوزات الهائل ، الذى يحمل اسمه .

أمسك الرئيس كتفى الوزير ، وهزَّهما فى قوة ، قائلاً :

- اتصل بذلك الوغد فورًا ، وأبلغه أن مهمته قد ألغيت ، واطلب منه العودة إلى العاصمة فورًا .. هل تفهم ؟!

هزَّ الوزير رأسه فى أسى ، قائلاً :

- المشكلة أنه لا توجد وسيلة اتصال بالمدينة يا سيادة الرئيس .

صاح الرئيس فى حدة :

- كاذب .. هناك حتمًا وسيلة اتصال .. لقد كنت تحصل على أخبار من داخلها طوال الوقت .

قال الوزير فى توتر :

- كانت هناك بالفعل وسيلة اتصال يا سيادة الرئيس ،

ولكن آخر محادثة تمت ، بينى وبين (باسل) ، أخبرنى فيها أن السيِّد (أمجد صبحى) أمكنه الاستيلاء على أحد أجهزة الاتصال الليزرى ، وأنه هناك جهاز آخر مفقود ، لذا فسيفصل وحدة الطاقة الرئيسية ، لقطع كل الاتصالات الليزرية .

ثم خفض عينيه ، مكملاً فى مرارة :

- وهذا يعنى أنه لم تعد هناك أية وسيلة اتصال بالمدينة ، فى وجود القبة الكهرومغنطيسية .

صاح به الرئيس :

- أوقف عمل تلك القبة اللعينة إذن .

هزَّ الوزير رأسه ، قائلاً :

- للأسف يا سيادة الرئيس .. وفقًا للخطة ، كان عمل القبة سيمتدَ آليًا ، حتى منتصف النهار ، مهما كانت الأسباب ، والكمبيوتر سيرفض إيقاف عملها ، قبل ذلك الموعد ، مهما كانت وسيلة التعامل معه .

تراجع الرئيس متمتمًا :

- يا إلهى ! يا إلهى ! هل سنترك (أمجد) ، و (نور) وفريقه تحت رحمة ذلك الوغد (باسل) ، حتى منتصف النهار ؟!

ثم التفت إلى قادة الأفرع ، مستطردًا فى انفعال :

ـ ابحثوا عن وسيلة .. أوقفوا ذلك الوحش المفترس بأى طريق كان .

تبادل قادة الأفرع نظرة عميقة ، قبل أن يقول قائد الطيران فى حزم :

ـ يمكنك الاعتماد علينا يا سيادة الرئيس .

قالها ، وانطلقوا جميعًا للبحث عن وسيلة اقتحام المدينة ، واستعادة السيطرة عليها ..

أما الرئيس ، فقد تبعهم ببصره ، وجسده كله ينتفض انفعالاً ..

ففى أعماقه ، كان يدرك أنه لا يكفى أن ينجح الرجال فى عبور القبة الكهرومغنطيسية فحسب ..

المهم أن يصلوا فى الوقت المناسب .. بالضبط .

* * *



٧ ـ التحدّى ..

كان الموقف معقدًا للغاية ، فى ذلك الحىّ الراقى الجديد ، فى (السادس من أكتوبر) ..

لقد كشف العقيد (باسل) أن (نور) ورفاقه لم يلقوا مصرعهم مع انفجار الفيلا ..

وأنهم يختبئون فى فيلا الأستاذ (حسن) ..

ولقد أطلق رجاله خلفهم ..

ومن موقعه ، خلف نافذة فيلا الأستاذ (حسن) ، كان (نور) يراقب عشرة من رجال الصاعقة ، وهم يتقدَّمون نحو الفيلا ، حاملين مدافعهم الآلية فى تحفُّز شديد ، وصرامة مخيفة ..

وبحسبة بسيطة ، لم يكن هناك أمل فى النجاة ..

فحتى لو استخدم كل مهاراته ..

وحتى لو أطلق الأستاذ (حسن) كل خيوط الأشعة ، التى يمكنه إطلاقها ..

حتى مع كل هذا ، لن يمكنهما التصدّى لكل هؤلاء الرجال ..

خاصة وأنهم ليسوا مجموعة من المقاتلين العاديين ..

إنهم رجال صاعقة مصريون ..

أفضل مقاتلى (مصر) ..

ولأن عقله لم يعتد التوقُّف عن التفكير أبدًا ، فقد انطلق يبحث عن وسيلة لمضاعفة احتمالات النصر ، و ...

وفجأة ، هتف بالأستاذ (حسن) :

ـ المرآة .. ساعدنى فى انتزاع هذه المرآة الكبيرة .

لم يفهم الأستاذ (حسن) ما يعنيه (نور) ، إلا أنه أطاعه فى سرعة ، وتعاونا معًا لانتزاع مرآة حجرة المعيشة الكبيرة ، فهتف (هيثم) فى حماس :

ـ فكرة عبقرية يا سيادة المقدَّم .

سأله الأستاذ (حسن) فى دهشة :

ـ هل تفهم لماذا يفعل هذا ؟!

أجابه (هيثم) فى حماسة :

ـ بالطبع ، فالليزر مجرَّد حزمة من الانبعاث الإشعاعى المستحث ، و ...

قاطعه الأستاذ (حسن) فى حدة :

ـ لا بأس .. لا بأس .. سأكتفى بهذا القدر .

هتف به (نور) :

ـ أمسك المرآة أمام جسدينا فى قوة ، واجعل سطحها العاكس فى مواجهتهم .. هيًا ..

كان جنود الصاعقة العشرة قد صاروا على مسافة ثلاثة أمتار فحسب من الفيلا ، عندما اندفع (نور) و(حسن) خارجها ، وهم يحملون المرآة أمامهما ، ويطلقان مدفعيهما فى غزارة ..

وتراجع جنود الصاعقة فى دهشة ، ثم راحوا يطلقون أشعة مدافعهم بدورهم ..

وبناء على أوامر (نور) ، لم يصوِّب الأستاذ (حسن) أشعته نحو الرءوس أو الصدور أو الأعناق .. فقط نحو الأذرع والسيقان ..

أما رجال الصاعقة ، فقد أطلقوا أشعتهم بلا تمييز ..

ولكن خيوط الأشعة كلها أصابت المرآة ..

وانعكست عنها فى عنف ..

ومن موقعه ، هتف (باسل) فى حنق :

ـ اللعنة ! ما هذا الذى يفعلانه ؟! أية فكرة لعينة هذه ؟!

لم يكد هتافه ينطلق ، حتى برزت (الجيب) ، التى يقودها (أمجد) ، بصحبة ضابطى الحرس الجمهورى ..

وبسرعة خرافية ، انطلق (أمجد) نحو (باسل) مباشرة ، وضابطا الحرس الجمهورى يمطران جنود الصاعقة بالأشعة القاتلة ..

وارتبك الجنود ، مع الهجوم المزدوج من الجانبين ، وراحوا يطلقون الأشعة حولهم عشوائيًا ، فهتف (نور) :

- ربَاه ! اسع يا عبد وليعاونك الله (سبحانه وتعالى) .. أليس هذا ما يقولونه ؟!

ثم ألقى المرآة جانبًا ، وهو يستطرد فى حماسة :

- يبدو أن فرصتنا قد تضاعفت ..

أما (باسل) ، فقد تعلق بصره بالسيارة (الجيب) ، التى تتجه نحوه مباشرة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما أدرك هدفها ، فتراجع هاتفًا :

- امنعوه .. امنعوه يا رجال .

ثم دار على عقبيه ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته هاربًا ..

وارتبك جنوده أكثر وأكثر ..

فلقد أضيف إليهم هدف ثالث ..

لم تعد مهمتهم قاصرة على إيقاف (نور) والأستاذ (حسن) من جانب ، و (أمجد) وضابطى الصاعقة من الجانب الآخر فحسب ..

لقد أضيفت إليهم مهمة حماية قائدهم المذعور أيضًا .

ولأن الهدف الأخير كان الأكثر أهمية ، من الناحية العملية ، فقد تركزت معظم نيرانهم على (الجيب) ..

لذا فقد نجح (نور) والأستاذ (حسن) فى شق طريقهما أكثر وأكثر ..

وهوت عشرات من خيوط الأشعة على (الجيب) ..

وأصيب أحد ضابطى الحرس الجمهورى ..

وانتزعته طلقة ليزر من مقعده ، لتلقى به خارج السيارة فى عنف ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، شعر الأستاذ (حسن) بخيط من اللهب يشقّ فخذه ، ثم انغرس عمود من النار فى صدره ، فوق قلبه بسنتيمترات قليلة ..

ومع صرخة ألم رهيبة ، طار جسده فى الهواء ،

ثم سقط على ظهره فى عنف ، وطار مدفعه الليزرى بعيدًا ..

أما (نور) ، فلم يعد يشعر بما حوله ..

كانت خيوط الأشعة تتطاير من حوله كالمطر ، وبعضها يضرب سترته الواقية ، ويرتدّ عنها بزوايا حادة ، والبعض الآخر يحتكّ به ، أو يغوص فى ذراعه أو ساقه ..

ولكنه لم يتوقّف أبدًا ..

لقد بدا له الأمر أشبه بكابوس ، يعيش أحداثه مرغمًا ، حتى يطلع النهار ..

وبكل قوته ، راح يعدو نحو هدفه الرئيسى ..

نحو (باسل) ..

لم يكن من السهل عليه أبدًا ، وهو الذى يبغض القتل والتدمير ، أن يسعى بكل قوته وإرادته ؛ للقضاء على شخص ما ..

ولكنه كان ، فى هذه المرة ، مضطرًا لفعل ما يبغض ..

لأنه لم تكن هناك وسيلة أخرى ، لإيقاف تلك المذابح الوحشية ..

لم تكن هناك وسيلة ، سوى القضاء على الوحش نفسه ..

على رأس الأفعى ..

ولكن فجأة ، وبينما يعدو بأقصى سرعته نحو (باسل) ، الذى يعدو بدوره ، فرارًا من (الجيب) ، انقضّ عليه أحد جنود الصاعقة من الخلف فى عنف ..

ومع عنف الانقضاضة ، اختلّ توازن (نور) ، وسقط أرضًا فى قوة ..

ومع سقوطه ، انقضّ عليه جندى صاعقة ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

ولا أحد يدرى لماذا لم يطلقوا عليه أشعة مدافعهم فحسب ؟!

ولماذا حرصوا على القبض عليه حيًا ؟!

أهى أوامر (باسل) السابقة ، التى طالبتهم بالقبض على الجميع أحياء ؟!

أم هى صورة (نور) ، التى يحفظها كل منهم عن ظهر قلب ، مرتبطة بلقب (بطل التحرير)[*] ؟!

(*) راجع قصة (النصر) المغامرة رقم (٨٠) .

أم هو مزيج من هذا وذاك ؟!

المهم أنهم - فى النهاية - قد تضافروا لشل حركته ، وانتزاع سلاحه ، دون أن يحاولوا قتله ..

أما (أمجد) ، فقد واصل الانطلاق بالسيارة نحو (باسل) ، مناورًا رجال الصاعقة فى مهارة ، على الرغم من أشعة مدافعهم ، التى راحت تخترق (الجيب) فى مواضع شتى ..

وأخيرًا ، أصابت الأشعة أحد إطارات (الجيب) ..

ومع انفجار الإطار ، انحرفت السيارة فى حدة ، وارتطمت بسور إحدى الفيلات ، ثم مالت على نحو مخيف ، قبل أن تنقلب فى عنف ، وتنزلق فوق الطريق ، فى نفس اتجاه حركتها ، وكأنما تصرّ على مواصلة المطاردة ، مهما كانت المعوقات ..

ومع توقُّفها ، توقَّف (باسل) أيضًا ، والتفت إليها وهو يلهث فى عنف ، هاتفًا فى حنق :

- يا للشيطان ! ماذا أصابكم أيها الأغبياء .. لقد كاد ينال منى بالفعل !

لم يكد ينطق عبارته ، حتى برز (أمجد) فجأة ، من الجانب العلوى للسيارة المقلوبة ، ووثب من



لم يكد ينطق عبارته ، حتى برز (أمجد) فجأة ، من الجانب العلوى للسيارة المقلوبة ..

نافذتها ، وهو يحمل خنجرًا ماضيًا ، استولى عليه من أحد الجنديين ، اللذين كانا يحرسان ضابطى الحرس الجمهورى ، ثم اندفع بكل قوته نحو (باسل) ، الذى تراجع صارخًا :

- لا .. لا .. امنعوه .

ارتفعت فوهات المدافع الليزرية بسرعة نحو (أمجد) ، إلا أن هذا الأخير قفز قفزة مدهشة ، كفهد بالغ الرشاقة ، ليهبط عند (باسل) مباشرة ، ويحيط عنقه بذراعه اليسرى ، ثم يضع نصل الخنجر عليه ، هاتفًا فى صرامة :

- حركة إضافية من أى منكم ، وأذبح قائدكم كالنعاج .

انعقدت حواجب الجنود فى توتر ، فى حين اتسعت عينا (باسل) فى رعب ، وهو يلوّح بذراعيه ، هاتفًا :

- لا تتحرّكوا .. افعلوا كل ما يأمركم به .. هذا أمر .

ابتسم (أمجد) فى سخرية ، وهو يقول :

- عظيم .. من الواضح أنك تستجيب للأمور بسرعة أيها الوغد .. والآن مُرْهم بإطلاق سراح (نور) ورفاقه .

هتف (باسل) فى سرعة :

- أطلقوا سراح الجميع .. فورًا .

أطلق جنود الصاعقة سراح (نور) ، الذى هبّ واقفًا ، مع كل ما يثخن جسده من جراح ، واندفع يفحص الأستاذ (حسن) ، هاتفًا :

- ربّاه ! أأنت بخير ؟!

سعل الأستاذ (حسن) ، وهو يجيب :

- الواقع أن ما أصابنى اليوم ، يساوى كل ما أصبت به فى حياتى كلها .

ساعده (نور) على النهوض ، وهو يقول :

- المهم أنك بخير .

لم يكد ينطقها ، حتى اتسعت عيناه فى دهشة ، عندما شاهد جنود الصاعقة يخرجون (أكرم) والدكتور (حجازى) من سيارتهم الكبيرة ، فهتف :

- ربّاه ! لقد جاء أمر إطلاق سراح الجميع فى موعده تمامًا .

أما (مشيرة) ، فلم تكد تلمح (أكرم) ، وهو يسير بين جنود الصاعقة فى صعوبة ، وقد استعاد وعيه على الفور ، حتى اندفعت خارج الفيلا ، هاتفة :

- يا إلهى ! (أكرم) .. (أكرم) .

كان يراها فى صعوبة ، مع اهتزاز الرؤية أمام عينيه ، إلا أنه ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

- مرحبًا يا أميرتى .. هل اشتقت هذه المرة لزوجك الحبيب ؟!

احتضنته بلهفة بالغة ، وراحت تمطر وجهه بالقبلات ، هاتفة :

- بل قل : إننى كدت أذوب شوقًا ، من فرط لهفتى إليك يا حبيبى .

ابتسم فى صعوبة ، وهو يتمتم :

- عجبًا ! أمن الضرورى أن أقع أسيرًا ، فى قبضة هؤلاء الأوغاد ، حتى تنهمر كلمات الحب من بين شفتيك ، على هذا النحو ؟!

ضحكت وهى تحتضنه فى حب ، هاتفة :

- حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

كانت (نشوى) قد استعادت وعيها ، فى تلك اللحظة ، فتطلعت إلى ما يحدث ، عبر نافذة الفيلا ، وغمغمت فى ألم وقلق :

- ولكن أين (رمزى) ؟! لماذا لم يظهر معهم ؟!

أجابها (هيثم) فى هدوء :

- اطمئنى يا سيدتى .. إنه بخير .

التفتت إليه فى دهشة ، قائلة :

- وكيف عرفت ؟!

أجابها فى بساطة ، وكأنه يروى قصة عادية :

- لقد اشتبك مع رجال الصاعقة ، فأطلقوا أشعتهم عليه ، وأصابته إحدى طلقاتهم فى صدره ، فسقط فاقد الوعى ، والدماء تنزف من جرحه فى غزارة .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، فى حين هتفت (نشوى) مذعورة :

- وتقول : إنه بخير ؟!

أجابها فى حزم :

- إنه كذلك يا سيدتى .. اطمئنى .. فالحديقة التى سقط فيها ، كانت حديقة فيلا الدكتور (هشام خالد) .. أستاذ جراحة الطوارئ بكلية طب (القاهرة) .. لقد شاهدت ما حدث بنفسى ، وعندما انصرفت الدورية ، هرعت إلى الدكتور (رمزى) ، ولكن الدكتور (هشام) ، سبقنى إليه ، وتعاونا على نقله إلى داخل الفيلا ، حيث أسعفه الدكتور (هشام) ، وهو الآن

تحت تأثير المخدر فحسب ، ولكنه تجاوز إصابته والحمد لله .

سقطت (سلوى) على مقعدها ، مغمغمة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

أما (نشوى) ، فقد تفجَّرت الدموع من عينيها غزيرة ، وهى تهتف :

- أشكرك يا إلهى ! أشكرك كثيرًا .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان (أمجد) يجذب (باسل) نحو سيارة هذا الأخير ، قائلاً فى صرامة :

- والآن أيها الوغد ، سنستقل معًا سيارتك ، وننطلق معًا خارج المدينة .

غمغم (باسل) فى عصبية :

- القبة الكهرومغنطيسية ستمنعك من مغادرة المدينة .

أجابه (أمجد) فى سخرية :

- حقًا ؟! ما رأيك إذن لو استخدمنا ذلك الجهاز فى سيارتك ، والذى يجعل عبور القبة الكهرومغنطيسية ممكنًا ؟

انعقد حاجبا (باسل) فى غضب ، ولم ينبس ببنت شفة ، فى حين هتف (أمجد) :

- (نور) .. اجمع رفاقك يا رجل .. سنستقل جميعًا سيارة هذا الوغد ، فلها وحدها القدرة على الخروج من دائرة الحصار .

قال (نور) فى صرامة :

- لو أننى فى مكانك لذبحته بلا رحمة يا سيِّد (أمجد) .

ارتفع حاجبا (أمجد) فى دهشة ، وهو يقول :

- ربَّاه ! أأنت من يقول هذا يا (نور) ؟! أنت يا من تكره القتل والتدمير طيلة عمرك ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- لقد كنت مثلى الأعلى دائمًا ، فى هذا المضمار يا سيِّد (أمجد) ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، كما أن القصاص العادل ضرورة ، حتى تستقيم الأمور فى هذه الحياة ، ولقد أراق هذا الوغد الكثير من الدماء ، ما بين عشية وضحاها ، دون أن يقيم وزنا للقيم أو القواعد ، ودون أن يرحم طفلاً أو شيخًا ، أو عاجزًا أو مريضًا ، لذا ، فهو يستحق القتل عن جدارة .

هتف (باسل) فى عصبية :

- ليس من حقك أن تفعل .. لا يمكنك أن تقتلنى دون محاكمة .. هذا ما ينصَ عليه القانون .

قال (نور) فى غضب :

- أرأيت ما أعنيه يا سيد (أمجد) ؟! إنه لم يتذكر القانون ، إلا عندما احتاج إليه .

صاح (باسل) :

- عليك أنت أن تتذكره دائمًا أيها المقدَم ، فأنت تعمل لحمايته ، وليس لتجاوزه .. أليس كذلك ؟

قال (نور) فى ازدراء :

- يا لك من وغد ! إنك مجرد ..

ثم بتر عبارته ، ليهتف بغتة :

- احترس .

ففى تلك اللحظة فقط ، لمح جندى الصاعقة ، الذى انقضَ على (أمجد) من الخلف ..

ومع صيحته التحذيرية ، مال (أمجد) جانبًا فى سرعة ..

وتفادى بصعوبة طلقة مدفع ليزرى ، كانت موجهة إلى رأسه مباشرة ..

ثم استدار بأقصى سرعة ، ليواجه ذلك الجندى ..

ومع استدارته ، كان من المحتَم أن يفلت (باسل) ، الذى انطلق يعدو مبتعدًا ، وهو يصرخ :

- اقبضوا عليه .. اقبضوا عليهم جميعًا .

وقبل حتى أن تكتمل صيحته ، كانت فوهات المدافع الليزرية لجنود الصاعقة ترتفع مرة أخرى فى سرعة مدهشة ..

وعادت أبواب الجحيم تنفتح ..

عن آخرها ..

★ ★ ★

دارت مقاتلات السلاح الجوى المصرى دورتها الثالثة ، حول القبة الكهرومغنطيسية ، التى تحيط بمدينة (السادس من أكتوبر) ، قبل أن يضغط قائد السرب زر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدود ، قائلاً :

- القبة مكتملة تمامًا أيها القائد ، وأجهزتنا تؤكد أنه ما من سبيل لاختراقها قط .

أتاه صوت قائد الطيران ، وهو يقول بلهجة آمرة :

- قم بدورة إضافية يا (نسر - ١) ، وحاول مع سربك قياس الذبذبة المستخدمة فى القبة .

أجابه قائد السرب :

- عُلِمَ وسينفَذُ يا سيِّدى .

كان السرب يقوم بدورته الاستكشافية الرابعة ، حول القبة الكهرومغنطيسية ، فى حين راح قائد الطيران يراقب المشهد على شاشة الرصد ، وإلى جواره كبير مهندسى الطيران ، يعيد دراسة الموقف للمرة الخامسة ، قبل أن يقول :

- يبدو أن تلك القبة الكهرومغنطيسية محكمة تمامًا ، على نحو لا سبيل لتجاوزه قط .

قال قائد الطيران فى حزم :

- هناك حتمًا وسيلة ما .. لا يوجد درع محكم إلى هذا الحد .

هزَّ كبير المهندسين كتفيه ، وتنهَّد فى عمق ، قبل أن يقول :

- ربما لو ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، دون أن يكمل قوله ، فالتفت إليه قائد الطيران فى حدة ، قائلاً :

- لو ماذا ؟!

تردَّد كبير المهندسين لحظة ، ثم قال :

- ربما لو استخدمنا ذبذبة قوية مفاجئة .

سأله قائد الطيران فى اهتمام :

- ماذا يمكن أن يحدث عندئذ ؟!

لوَّح كبير المهندسين بذراعه ، مجيبًا :

- ربما يتوقَّف عمل القبة لبضع لحظات .

انعقد حاجبا قائد الطيران ، وهو يقول فى حدة :

- وما الذى يمكن أن نفعله ، فى بضع لحظات ؟!

أجابه كبير المهندسين فى سرعة :

- نعبر بطائرة داخلها .

حدَّق قائد الطيران فى وجهه لحظة ، قبل أن يشير إليه ، قائلاً فى انفعال :

- اشرح خطتك جيِّدًا يا رجل .

راح كبير المهندسين يخطّ بعض الأرقام والحروف ، على ورقة كبيرة أمامه ، وهو يقول :

- لو أننا أطلقنا كل طائرات السرب بسرعة محدودة ، فى اتجاه القبة ، بحيث تخترق كلها حاجز الصوت فى آن واحد(*) ، فإن الذبذبة الناشئة ، قد تعطِّل عمل

(*) المقصود باختراق حاجز الصوت هو أن تتجاوز الطائرة سرعة الصوت فى الهواء ، فى لحظة محدودة ، وهذه السرعة هى ٣٤٠ سم / ث .

القبة لثلاث أو أربع ثوان ، يمكن للسرب خلالها اختراقها ، فيصبح داخلها بالفعل .

سأله قائد الطيران ، وقد تضاعف اهتمامه :

- وهل تعتقد أنه من الممكن أن نربح معركة كهذه بسرب من المقاتلات فحسب ؟!

أجابه كبير المهندسين :

- كلاً بالطبع ، ولكن سرب المقاتلات يمكن أن يصنع الذبذبة المطلوبة ، ويقود عملية الاختراق فحسب ، ثم تتبعه فى سرعة بالغة حاملات الجنود ، أو طائرات جنود المظلات مثلاً .

تألقت عينا قائد الطيران إعجابًا ، وهو يهتف :

- فكرة رائعة يا رجل .

ثم أمسك ذراعه فى لهفة ، متسائلاً :

- قل لى : متى يمكننا وضعها موضع التنفيذ ؟!

هزّ كبير المهندسين كتفيه ، قائلاً :

- إنها مجموعة حسابات فحسب .. نعم .. أعتقد أنه يمكننا البدء ، فور استعداد جنود المظلات .

هتف قائد الطيران فى حماس :

- عظيم .

ثم التقط سماعة هاتف خاص ، ولم يكد يرفعها ، حتى تم الاتصال على نحو آلى ، وسمع من الجانب الآخر صوت رئيس الجمهورية ، وهو يسأل فى لهفة :

- هل توصلتم إلى وسيلة ما ؟!

أجابه قائد الطيران فى حماسة :

- نعم يا سيادة الرئيس .. لقد توصلنا إلى وسيلة جديدة ومبتكرة ، لاختراق القبة الكهرومغنطيسية .

هتف الرئيس :

- عظيم .. ومتى يمكنكم تنفيذها ؟!

أجابه قائد الطيران فى سرعة :

- خلال نصف الساعة على الأكثر يا سيادة الرئيس .

هتف الرئيس منزعجًا :

- نصف ساعة كاملة ؟! يا إلهى ! اللّه (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن يحدث خلال نصف ساعة يا رجل .

غمغم قائد الطيران :

- سنبذل قصارى جهدنا لاختصار الوقت يا سيدى الرئيس .

قال الرئيس فى توتر شديد :

ـ نعم يا رجل .. ابذل قصارى جهدك لاختصار الوقت .. كل دقيقة نكسبها قد تعنى حياة أحد رجالنا .

ولم يدر الرئيس لحظتها كم كانت عبارته صادقة ..

ففى كل دقيقة تمضى ، كانت هناك حياة مهدَّدة بالخطر ..

بأكبر خطر ..

★ ★ ★

مال (أمجد) برأسه مرة ثانية فى سرعة ، ليتفادى طلقة أشعة أخرى ، ثم انقضَّ بكل قوته على جندى الصاعقة ، وكال له لكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّر كم أفسدت الأمور يا رجل .

كانت اللكمة من العنف ، حتى إنها انتزعت رجل الصاعقة القوى من مكانه ، وألقته عدة أمتار إلى الخلف ..

ولكن ، قبل أن يسقط أرضًا ، كان هناك ثلاثة جنود آخرون ، ينقضّون على (أمجد) من الخلف ..

وضعفهم يهاجم (نور) ..

وفى الوقت نفسه ، اقتحم فريق من الجنود فيلا الأستاذ (حسن) ، لإلقاء القبض على كل من فيها ،

فى حين انقضَّ فريق آخر على (أكرم) و (مشيرة) والدكتور (حجازى) ..

وبات من الواضح أن الأمور قد انقلبت رأسًا على عقب ..

وبمنتهى العنف ..

وبكل غضبه وثورته ، راح (باسل) يصرخ :

ـ اقبضوا عليهم .. حطموا كل مقاومتهم .. أريدهم جميعًا أحياء .. أريد أن أقتلهم بنفسى .

كان الجميع يقاتلون ببسالة مدهشة ، على الرغم من الجراح العديدة ، التى تملأ أجسادهم ..

ولكن الأمثال القديمة تقول : « الكثرة تهزم الشجاعة »

وهذه حقيقة لا تقبل الجدل ..

فعشرة من المقاتلين ، لا يمكنهم أبدًا هزيمة مائة من المحترفين ..

لذا ، فقد انتهى الأمر على عكس ما قد نرغب جميعًا ..

لقد نجح رجال الصاعقة فى السيطرة على الموقف ..

وهذا أمر طبيعى ..

ولقد تألقت عينا (باسل) فى ظفر بلا حدود ، عندما رأى الجميع فى قبضة رجاله ، فانتفخت أوداجه ، وهو يهتف :

- رائع يا رجال .. رائع .

هتف (أمجد) ، وهم يكبلون حركته بكل قوتهم :

- نعم .. رائع يا رجال .. لقد ساعدتم على نجاح انقلاب عسكرى ، ضد رئيس جمهوريتكم .

سرت موجة من التوتر ، بين رجال الصاعقة ، عندما هتف (أمجد) بكلماته هذه ، وتبادلوا نظرات قلقة للغاية ، فهتف بهم (باسل) فى صرامة :

- لا تجعلوا هذا الرجل يخدعكم يا رجال .. إنكم تمارسون عملاً شرعيًا ، تدربتم عليه طويلاً .. أليس كذلك ؟!

صاح (أمجد) :

- قائدكم هو الذى يخدعكم يا رجال .. خذوها كلمة منى ، أنا المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية .

صرخ (باسل) :

- كاذب .. زائف .. إنك تنتحل صفة ليست لك .

« بل هذا الرجل هو مستشار رئيس الجمهورية بالفعل .. »

انطلق الصوت بغتة ، فالتفت الجميع إلى مصدره فى سرعة ، ووقع بصرهم على زميلهم المصاب ، الذى يزحف خارج (الجيب) المقلوبة ، ووجهه يتصبب عرقًا فى غزارة ، وهو يكمل :

- لقد شاهدت هويته بنفسى .

استدار إليه (باسل) فى سرعة ، صارخًا :

- كاذب .

ومع صرخته ، استلّ مسدسه الليزرى ، وأطلق أشعته على رأس الجندى المسكين مباشرة ..

واتسعت عينا الجندى عن آخرهما ، وانطلقت من حلقه شهقة مختنقة ، عندما اخترقت الأشعة جبهته ، ثم لم يلبث أن سقط جثة هامدة ..

أما (باسل) ، فقد عاد يواجه رجاله ، صائحًا :

- ألقوا كل ما سمعتموه خلف ظهوركم يا رجال .. لا تسمحوا لأية أكاذيب أو وسائل خداع بإبعادكم عن هدفكم الرئيسى ، مهما كانت أنيقة منمّقة .

قال (أمجد) فى سخرية :

- أينطبق هذا على أكاذيبك أيضًا ؟

صرخ (باسل) :

- اخرس .. إياك أن تنطق بكلمة زائدة .

صاح به (أكرم) فى حدة :

- وما الذى ستفعله لو فعل ؟! هل ستقتله مرتين ؟!

انعقد حاجبا (باسل) فى غضب ، وهو يرمق (أمجد) بنظرة ملؤها المقت والبغض والكراهية ، قائلاً :

- لو أن الأمر بيدى ، لقتلته ألف مرة .

أجابه (أمجد) ساخرًا :

- من حسن الحظ أنك لن تحصل على متعتك هذه أبدًا أيها الوغد ؛ فالموت لا يأتى أبدًا مرتين .

قال (باسل) فى صرامة :

- تكفينى المرة الأولى أيها المتحذلق .

ثم شدّ قامته ، وانعقد حاجباه فى صرامة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يكمل :

- وبصفتى الحاكم العسكرى للمدينة ، وقائد فرقة

الطوارئ فيها .. وبصفتى وزير الدفاع ، فى الحكومة الجديدة القادمة ، باعتبار ما سيكون ، فإننى أحكم عليكم بالإعدام .

أدار (نور) عينيه إلى (سلوى) فى توتر ، فابتسمت فى حزن ، قائلة :

- يكفينى أن نموت معًا يا (نور) .

ابتسم بدوره ، مغمغمًا :

- لى عظيم الشرف يا حبيبتى .

وهتفت (نشوى) :

- سنموت معًا كعائلة .

صاح بها (باسل) فى صرامة :

- كفى تحذلقًا .. لقد انتهى أمركم .

ثم رفع يده ، قائلاً لرجاله :

- استعدوا لتنفيذ حكم الإعدام .

تراجع الرجل ، وتراصوا فى صفين متجاورين ، فى حين وقف (نور) ورفاقه و(أمجد) ، والأستاذ (حسن) وزوجته ، و(مشيرة) صفًا واحدًا فى مواجهتهم ، وإلى جوارهم (هيثم) ، الذى تمتم :

ـ أظن الموت أفضل من العيش فى عالم به أمثال هذا الرجل .

هتف الأستاذ (حسن) :

ـ اللعنة .

ومع قوله ، خفض (باسل) يده ، صائحًا :

ـ نفذ .

ولم يعد هناك مفرّ من الموت .. مطلقًا .

* * *



٨ ـ النصر ..

انتفض جسد (مروة) ، زوجة الأستاذ (حسن) فى عنف ، عندما خفض (باسل) يده ، وهتف يأمر بتنفيذ حكم الإعدام ، وامتدت ذراعاها تحتضنان (هيثم) فى لهفة ، وكأنما تحاول حمايته من خيوط الأشعة القاتلة ، فى حين أغلقت (مشيرة) عينيها فى قوة ، وغاص رأسها بين كتفيها ، وأطلقت (نشوى) شهقة قوية ، وتشبثت (سلوى) بذراع (نور) ، وكأنها تنشد حمايته ..

وعلى الرغم من كل هذا ، لم تنطلق طلقة أشعة واحدة ..

وفى غضب هادر ، التفت (باسل) إلى جنوده ، صائحًا :

ـ ماذا دهاكم ؟!

واجهه أحد الضباط ، متسائلًا فى توتر :

ـ سيدى .. هل يمكنك إجابة بعض تساؤلاتنا أولًا .

صاح به (باسل) فى حدة :

ـ نفذ الأوامر أولاً أيها الضابط ، قبل أن تطرح ما لديك من أسئلة ، وإلا أحلتك إلى محاكمة عسكرية .

لم ترهب صيحته الغاضبة ذلك الضابط الشجاع ، الذى أدرك من عدم انطلاق طلقة أشعة واحدة ، أن الجميع يؤيدونه فى اعتراضه ، فقال فى حزم :

ـ هل لك أن تفسر لنا أولاً حديثك الخاص بتولى منصب وزير الدفاع ، فى الحكومة القادمة الجديدة ؟! أية حكومة كنت تقصد أيها القائد ؟!

انعقد حاجبا (باسل) فى شدة ، فى حين غمغم (أكرم) ساخرًا :

ـ آه .. الحكمة القديمة تقول : إن الكذب بلا سيقان .

ازداد انعقاد حاجبى (باسل) ، وهو يقول للضابط فى عصبية :

ـ نفذ الأمر أولاً أيها الضابط ، وسأشرح لكم كل شىء فيما بعد .

بدا الضابط صارمًا حازمًا ، وهو يجيب :

ـ آسف أيها القائد .. لن يمكننا تنفيذ أوامرك بعد الآن .

صاح به (باسل) فى غضب :

ـ ماذا تقول أيها الغبى ؟!

أجابه الضابط فى صرامة :

ـ أقول : إنه بحكم القانون العسكرى ، فإننى أعزلك من منصبك أيها القائد ، لشكى وزملائى فى الأهداف والنوايا ، التى تقودنا إليها ، وأنا مستعد لتحمل كافة التبعات والمسئوليات المترتبة على موقفى هذا ، وكل النتائج التى ستتوصل إليها المحكمة العسكرية فيما بعد .

هتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى ! إنها معجزة .

غمغم (نور) فى خشوع :

ـ الله (سبحانه وتعالى) ينصر الذين آمنوا يا عزيزتى .

أما (أمجد) ، فقد تقدم نحو ضابط الصاعقة ، وأبرز هويته الرسمية ، غير القابلة للتزوير ، وهو يقول :

ـ اسمح لى بتولى المسئولية ، باعتبارى مندوبًا عن السيد رئيس الجمهورية ، و ...



ومع صرخته ، انتزع من حزامه قنبلة مستديرة وهو يتراجع في سرعة ..

صرخ (باسل) فجأة :

ـ على جثتى .

ومع صرختِه ، انتزع من حزامه قَنبلةً مستديرة ، وهو يتراجع فى سرعةً ، مستطردا بكل غضب الدنيا :

ـ حركةً واحدةً وأفجّر هذه القنبلة ، القادرة على محو هذا الحىّ كله من الوجود .

صاح به (أمجد) فى صرامةً :

ـ لا فائدة من كل ما تفعله يا هذا .. لقد خسرت معركتك ، وينبغى أن تتعلم كيف تستسلم ، عندما تتعقد الأمور .

صرخ (باسل) :

ـ الأمور تعقدت هنا فحسب ، أما خارج المدينة ، فكل شىء على ما يرام .. الوزير احتلّ القصر الجمهورى بالفعل ، وأصبح مسيطرًا على الحكم كله ، وعندما ألحق به ، سأصبح وزير الدفاع الجديد ، وأول قرار سأتخذه ، هو إعدام كل هؤلاء الجنود .

قال (نور) فى صرامةً :

ـ هل ستعدم أفضل جنود فى البلاد ؟!

صرخ (باسل) كالمجنون ، وهو يتراجع نحو سيارته :

ـ سأقتل الوزير نفسه ، لو اعترض طريقى ومستقبلى .

ثم وثب داخل السيارة ، وأدار محركها ، مستطردًا فى شراسة :

ـ إياك أن يحاول أحدكم إطلاق أشعة خلفى ، فلن أتردد عندئذ فى إطلاق القنبلة .

قال (نور) فى صرامة :

ـ لن يعترض طريقك أحد .

ثم أردف فى حزم :

ـ وهذا لا يعنى أنك ستفلت من العقاب ؟!

هتفت (مشيرة) :

ـ بالتأكيد ، فعقاب الله (سبحانه وتعالى) سينالك حتمًا .

قهقه (باسل) ضاحكًا ، وهو يهتف :

ـ بعد عمر طويل ، فى السلطة والقوة .

قالها ، وانطلق بسيارته بالفعل ، فهتف الأستاذ (حسن) فى حنق :

ـ هل ستتركونه يفلت هكذا ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى برز فجأة أحد الظلال ،

واندفع خلف سيارة (باسل) فى سرعة خرافية ، فشهقت (مروة) ، هاتفة :

ـ رباه ! من أين جاء هذا ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يتطلع إلى قرص الشمس ، الذى بدا واضحًا فى الأفق ، وقال :

ـ بل قولى : لماذا جاء ؟! إنه لن يحتمل أشعة الشمس طويلاً .

تابع (أمجد) ببصره ذلك الظل ، وهو يطارد سيارة (باسل) فى إصرار ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، قائلاً :

ـ أنا أعلم لماذا جاء .

استدار إليه الجميع بنظرة متسائلة ، فتابع فى حزم :

ـ إنه مثلنا يا (نور) ، يبذل حياته من أجل واجبه ، وفى سبيل ما يؤمن به .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان ذلك الظل قد بلغ سيارة (باسل) ، الذى يهتف محدثًا نفسه فى عصبية :

ـ خاسرون .. كلهم خاسرون .. أنا وحدى سأربح هذه المعركة .. الوزير وعدنى بمنصبه ، بعد أن يصبح

رئيسًا للجمهورية .. وأنا أستحق هذا المنصب .. أستحقه عن جدارة .

ثم أطلق ضحكة عصبية عالية ، صارخًا :

ـ أنا (باسل بهجت) ، وزير الدفاع القادم .. أنا الذى ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما شعر بذلك الظلّ ، وهو يخترق مؤخرة عنقه ، وتخلَى عن عجلة القيادة ، صارخًا :

ـ لا .. لا .. ليس أنا .

لم يكن الألم شديدًا ، ولكنه شعر وكأن ماءً مثلجًا يسرى فى عروقه ، قبل أن تتألّق عيناه بذلك الوهج الأحمر المخيف ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. سأقود السيارة بعيدًا .. بعيدًا جدًا .

كان يشعر بما يفعله ، إلا أنه لم تكن لديه إرادة لتغييره قط ..

لقد انحرف بالسيارة ، وانطلق بها مبتعدًا عن المناطق السكنية للمدينة ، كما لو كان مجرّد آلة ، يتمّ تسييرها من بعيد بجهاز تحكُم عن بعد ..

وعندما بلغ منطقة بعيدة عن العمران ، تحركت

قدمه وحدها ، لتضغط فرامل السيارة ، ثم استدارت يده لتلتقط القنبلة ..

وعلى الرغم من الذعر والهلع ، اللذين شعر بهما فى أعماقه ، إلا أنه لم يستطع منع يده من نزع فتيلها ..

وفى أعمق أعماقه ، انطلقت صرخة هائلة :

ـ لا .. لا ..

ومع نهاية الصرخة ، التى لم تغادر شفتيه قط ، دوى الانفجار ..

انفجار رهيب ، بلغ مسامع كل مخلوق فى المدينة ، وارتفع معه لسان مخيف من اللهب ، جعل (أمجد) يتمتم فى أسف :

ـ يبدو أن عالم الظلال قد خسر ظلاً آخر .

ومع قوله ، دوت فرقعة قوية فى السماء ، فرفع الجميع عيونهم إليها ، ورأوا مقاتلات سلاح الطيران المصرى تحلق فوق رءوسهم ، وبعض طائراته تقذف العشرات من جنود المظلات ..

وكان هذا يعنى أن الدولة قد استعادت سيطرتها على كل الأمور ..

كلها بلا استثناء ..

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى رئيس الجمهورية ، وهو يتطلع إلى (مشيرة محفوظ) ، فى منزل الأستاذ (حسن) ، وإلى عينيها اللتين تألقتا بوهج أحمر ، فى حين قالت السيدة (مروة) فى سعادة غامرة :

- لا يمكنك أن تتصوركم شرفتنا بزيارتك هذه يا سيادة الرئيس .. إننا لم نكن نحلم حتى بهذا .

التقط الرئيس كوب العصير المثلج ، الذى قدمته له ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- (أمجد) روى لى كل ما فعلتماه ، كما أن جلالة الملك يشعر بالامتنان تجاهكما ، حتى إنه لا يرغب فى الانتقال إلى مكان آخر .

قال الأستاذ (حسن) بابتسامة كبيرة :

- بالتأكيد .. ليس قبل غروب الشمس على الأقل .

ضحك الرئيس ، قائلاً :

- بالطبع .

ثم التفت إلى الصبى ، متسائلاً :

- أنت (هيثم) .. أليس كذلك ؟!

أجابه الصبى فى لباقة :

- فى خدمتك يا سيادة الرئيس .

داعب الرئيس شعره فى حنان ، وهو يقول فى أسف :

- لست أدرى ماذا أقول يا ولدى ، فلقد أخبرونى كيف لقى والداك مصرعهما أمام عينيك ، على يد ذلك الحقير .

اغرورقت عينا الصبى بالدموع ، وهو يغمغم :

- لست أظننى أنسى هذا أبداً .

داعب الرئيس شعره مرة أخرى ، قائلاً فى حنان مشفق :

- صدقنى يا ولدى .. سنبذل قصارى جهدنا لتعويضك عما حدث ، على الرغم من أنه من المستحيل تعويض الحياة البشرية ، بكل أموال الدنيا ، ولكننا سنكفلك ، حتى تتم تعليمك ، و ...

تنحنح الأستاذ (حسن) ، وهو يقول :

- معذرة للمقاطعة يا سيادة الرئيس ، ولكن هناك من سيكفل (هيثم) بالفعل .

التفت إليه الرئيس ، متسائلاً فى اهتمام :

- من ؟!

تبادل الزوجان نظرة صامتة ، قبل أن يجيب الأستاذ (حسن) :

- نحن .

ارتفع حاجبا الرئيس ، وغمغم :

- أنتما ؟!

أجابه الأستاذ (حسن) ، وهو يختلس نظرة إلى (هيثم) ؛ ليرصد رد فعله :

- إننا سنتقدم بطلب رسمى لتبنى (هيثم) .

ثم خفض صوته ، مستطردا :

- لو أنه يوافق .

ارتفع حاجبا الصبى فى تأثر ، وهو يقول :

- ولماذا أرفض يا ... يا أبى ؟!

ترقرقت عينا الأستاذ (حسن) بالدموع ، فألقى الصبى نفسه بين ذراعيه ، هاتفا :

- إنه منتهى الشرف لى .

ابتسم الرئيس فى حنان ، وهو يراقب هذا المشهد ، ثم لم يلبث أن أدار عينيه إلى (مشيرة) ، قائلا :

- هل انتهى لقاؤك الصحفى يا سيدة (مشيرة) ؟!

خرج صوتها عميقا باردا ، وهى تجيب :

- تقريبا .

مط الأستاذ (حسن) شفتيه ، قائلا :

- مجانين هم هؤلاء الصحفيون .

ابتسم الرئيس ، قائلا :

- السيدة (مشيرة) ليست صحفية عادية .. إنها مستعدة لبذل أى شىء فى الدنيا ، مقابل سبق صحفى منفرد .

أشار الأستاذ (حسن) إليها ، قائلا :

- هل ستخبرنى يا سيادة الرئيس ؟! إننى أرى بنفسى .

غمغمت زوجته :

- وعلى الرغم من هذا فمن الصعب علىّ أن أصدق .

مع آخر حروف كلماتها ، شهقت (مشيرة) فى قوة ، ولهثت فى عنف ، وهى تمسك جانبى رأسها ..

ثم انبعث لسان النار من مؤخرة عنقها ..

وانطلق منها ذلك الظل الهائل ..

ولثوان ، انساب فى المكان ، فى نعومة مدهشة ، قبل أن يستقر فى منتصفه تماما ، فى حين راح جسد (مشيرة) يرتجف بضع لحظات ، قبل أن يستقر ويهدأ ، وتعود عيناها إلى طبيعتهما البشرية ..

وفى قلق ، سألتها السيدة (مروة) :
ـ أأنت بخير ؟!
لهثت (مشيرة) فى إرهاق ، وهى تجيب :
ـ حمدًا لله .
ومط الأستاذ (حسن) شفتيه ، مغمغمًا فى سخط :
ـ يا لجنون النساء !
أطلق رئيس الجمهورية ضحكة مرحة ، قبل أن يلتفت إلى الظلّ الكبير ، متسائلًا فى اهتمام :
ـ أتعشّم ألا تكون السيدة (مشيرة) قد أرهقتك بأسئلتها يا جلالة الملك .
لم يكن ينتظر أو يتوقع جوابًا مسموعًا ، وإنما ألقى سؤاله من باب اللياقة الدبلوماسية فحسب ، لذا فقد التفت إلى (مشيرة) مباشرة ، مستطردًا :
ـ هل كان اللقاء الصحفى جيدًا ؟!
هتفت فى حماس :
ـ بالتأكيد .. إنه أول حديث صحفى فى التاريخ ، مع ظلّ من عالم آخر .
انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول مؤنبًا :
ـ مجرد ظلّ .

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، وهى تستدرك فى سرعة :
ـ بل مع ملك عالم الظلال نفسه .
عاد الرئيس يبتسم ، قائلًا :
ـ بالضبط .
ثم التفت إلى ملك الظلال ، وهو يقول فى اهتمام :
ـ جلالة الملك .. ربما ليس بإمكاننا أن نتبادل حديثًا مسموعًا ، دون أن تضطر لاحتلال جسدى ، ولكننى واثق من أنك تستطيع فهمى .. أليس كذلك ؟!
هزّ الظلّ الكبير رأسه إيجابًا ، فتابع الرئيس :
ـ لست أدرى كيف أقول هذا ، ولكننى أقدّم إعتذارًا رسميًا عن كل ما حدث ، وعن تجربتكم المؤلمة ، فى التعامل مع عالمنا ، ولكن صدقنى أيها الملك .. إن سياساتنا الرسمية والمعلنة ، والفعلية أيضًا ، تتعارض تمامًا مع تلك الروح الاستعمارية السخيفة .. أعلم أنه لن يكون من السهل على شعبك أن يفهم هذا ، أو أن يستوعب أو يهضم طبيعتنا الحقيقية ، بعد كل ما حدث ، وخاصة بعد ما أسر رجالنا ولى العهد نفسه ، دون أن يدركوا هويته الحقيقية .. ولكن كل

ما أستطيع قوله ، بكل الصدق والأمانة ، هو أننا لا نضمر لكم أى سوء ، وليست لدينا أية نوايا غير حسنة ، بالنسبة لشعبك ، ولو قُدِّر لتلك الفتحة بين عالمينا أن تنفتح مرة أخرى ، بعد رحيلكم ، فسيدرك شعبك ما أقصده بالضبط .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يمدّ يده إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ وهذا وعد .

مال الظلّ الكبير برأسه ، يتطلّع إلى اليد الممدودة فى حذر ، فغمغم الرئيس فى حيرة :

ـ ماذا يقلقك ؟!

غمغم الأستاذ (حسن) :

ـ من الواضح أنهم لا يستخدمون المصافحة فى عالمهم قط ..

أعاد الرئيس يده إلى جواره ، متمتمًا :

ـ نعم .. يبدو هذا .

ران عليهم الصمت بضع لحظات ، قبل أن يستعيد الرئيس ابتسامته ، قائلاً :

ـ لا بأس .. لدينا هنا دليل آخر على حسن النوايا .

ثم أشار بيده إلى الباب ، مستطردًا :

ـ ولى العهد هنا !

ندت من الظلّ الكبير حركة ، تشفّ عن انفعال واضح ، فغمغم الأستاذ (حسن) :

ـ ربّاه ! إنهم يتأثرون مثلنا .

هتفت به (مشيرة) مؤنبة :

ـ أستاذ (حسن) ؟! هل تصوَّرت أنهم مجرَّد ظلّ لتمثال من الرخام ؟!

امتقع وجهه ، وهو يهتف فى حذر :

ـ مطلقًا .. إنما كنت أقصد أن ...

لم يتمّ عبارته ؟!

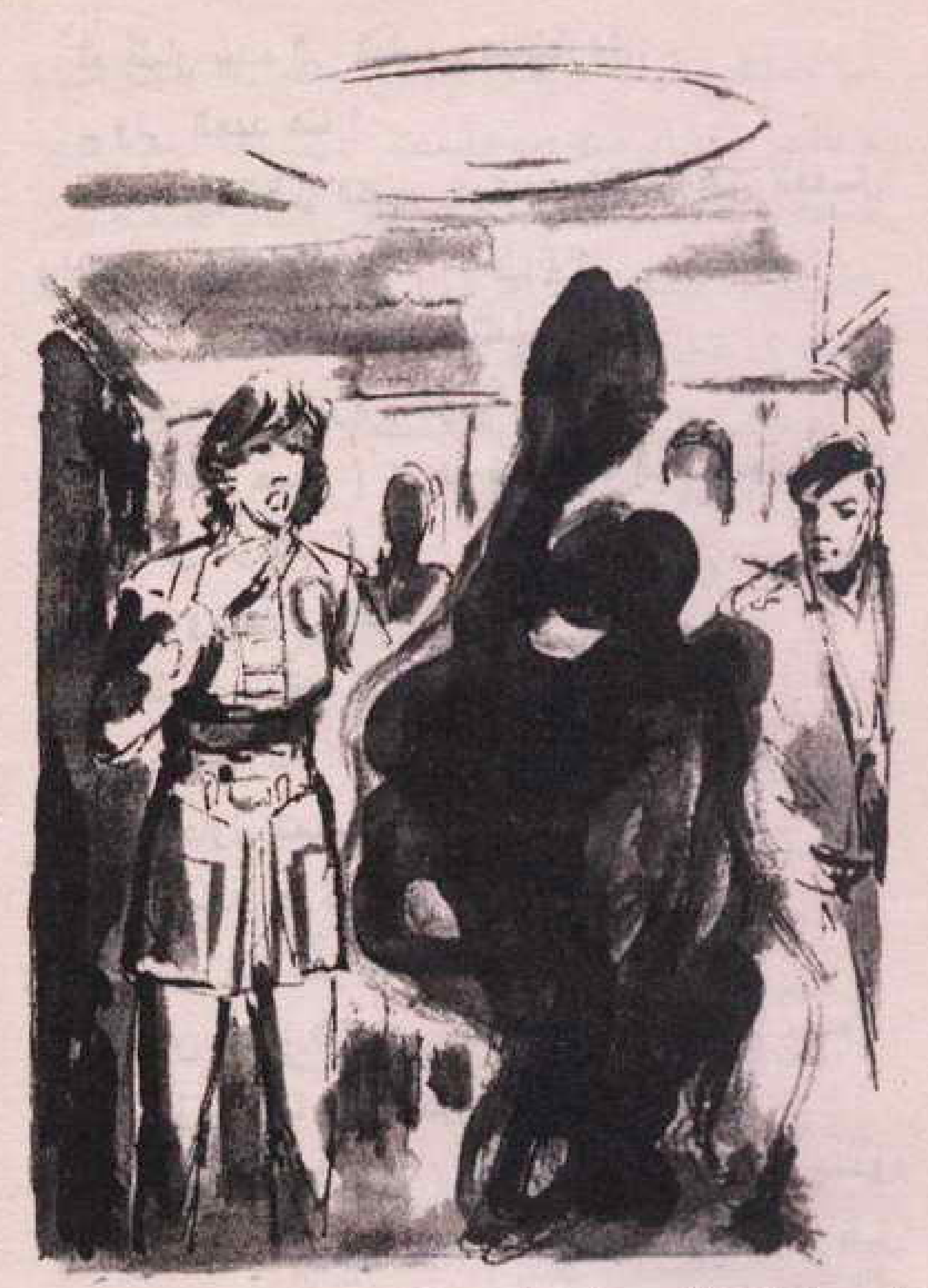
ولم يحاول إتمامها ..

ولم يسأله أى من الحاضرين عما كان يعنيه ..

ثم ظهر ظلّ آخر عند الباب ..

ولثوان ، ظلّ الظلاّن يتطلّعان إلى بعضهما ، ثم .. انطلق كل منهما بغتة نحو الآخر ..

وشهقت (مشيرة) فى انبهار ، عندما بدوا وكأنهما قد امتزجا ببعضهما ، وتحولا إلى ظلّ واحد ..



ثم .. انطلق كل منهما بغتة نحو الآخر .. وشهقت (مشيرة) فى انبهار ، عندما بدوا وكأنهما قد امتزجا ..

أو أن الظلّ الكبير قد احتوى الصغير داخله تمامًا ..

وغمغم الأستاذ (حسن) مبهوتًا :

ـ ربّاه ! إنهما يتعانقان .

ابتسم الرئيس ، قائلاً :

ـ ولماذا يدهشك هذا ؟!

ارتبك الأستاذ (حسن) للسؤال ، فراح يغمغم :

ـ إنه لم يدهشنى ، ولكن .. احم .. الواقع أن .. احم .. فى الحقيقة ..

سطع مصباح آلة تصوير فى تلك اللحظة ، وارتفع معه صوت (هيثم) ، وهو يهتف فى مرح :

ـ دع البحث عن التفسير لما بعد يا أبى ، فربما أوحت إليك صورتهما بالحقيقة يومًا .

قالها ، وغمز بعينه فى تخابث ، فضحك الأستاذ (حسن) ، قائلاً :

ـ أنت على حق .. سنترك هذا لما بعد .

وضمّه إليه فى حنان ، وهو يتبادل نظرة صامتة دافئة ، مع زوجته (مروة) ، التى مسحت دموعها متمتمة :

ـ الواقع أننى لا أجد فارقًا بينكما .

ضحك الرئيس ، قائلاً :

- بالتــأكيد .

ارتفع صوت دقـات هادئـة على باب المنزل ، فى تلك اللحظـة ، فـالتفت إليه الجميـع فـى آن واحـد ، وهتف الأستاذ (حسن) :

- تفضّل يا من بالباب ، فما دام طـاقم الحراسـة قد سمح لك بـالوصول إلـى البـاب ، فهـذا يعنـى أنـه من حقك أن تلتقى بسيادة الرئيس .

انفتح الباب فى هدوء ، وظهر على عتبته (نور) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- تحليل رائع يا أستاذ (حسن) .

هتفت السيدة (مروة) فى حرارة :

- مرحبًا بك أيها المقدّم .. تفضّل .. كلنـا ننتظرك منذ وصل سيادة الرئيس .

ونهض الرئيس يصافحه ، متسائلاً :

- هل أتيت وحدك ؟! أين باقى الفريق ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

- كلهم إما مصابون أو مرهقون يا سيادة الرئيس .

غمغم الرئيس :

- كان الله (سبحانه وتعالى) فى عونهم .

ثم استطرد فى اهتمام :

- وماذا عن إصاباتك ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

- كلها يمكن احتمالها .

هزّ الرئيس رأسه ، قائلاً :

- عظيم .. عظيم .

أشار (نور) بيده ، متسائلاً :

- وأين السيد (أمجـد) ؟! لقد كنت أتوقع رؤيتـه هنا .

ارتسمت ابتسامة خاصة على شفتى الرئيس ، وهو يقول :

- لا تتـوقع رؤيـة (أمجـد) أبدًا ، فى مثـل هـذه الاحتفالات الرسمية .. إنه رجل عملى للغاية ، يقاتل ، ويناور ، ويتصدى لجيوش جرارة بمفرده ، ولكنـه يبغض أن يعمل لساعة واحدة على مكتبه ، أو يضطر لحضور احتفال رسمى مدروس .

ابتسم (نور) فى إعجاب ، قائلاً :

- الواقع أنه مثلى الأعلى منذ حداثتى .

أجابه الرئيس :

- بل هو مثلنا الأعلى جميعا ، حتى هذه اللحظة .

غمغم (نور) :

- بالتأكيد .

ثم استطرد فى اهتمام ، وهو يشير بسبابته :

- بخصوص القائد الأعلى والدكتور (ناظم) . فإن ...

قاطعه الرئيس فى سرعة :

- ليس هنا يا (نور) .. المكان لا يناسب مثل هذا الحديث .

قال (نور) فى هدوء :

- فليكن يا سيادة الرئيس .. يمكننا أن نؤجل هذه المناقشة لـ ...

قاطعه الرئيس مرة أخرى :

- لن نؤجلها ، ولكننا سنواصل حديثنا فى الخارج .

ثم التفت إلى الظل الكبير ، مستطردًا :

- معذرة يا جلالة الملك .. سأقوم ببعض الترتيبات ، الخاصة بهذا الاحتفال الرسمى ..

لم تمض دقائق على قوله هذا ، حتى كان يسير مع (نور) خلف منطقة الفيلات ، وضابطان من الحرس

الجمهورى يتبعانهما كظليهما ، على مسافة أربعة أمتار ..

وفى اهتمام متوتر ، سأله الرئيس :

- ما الذى أردت قوله يا (نور) ، بشأن القائد الأعلى والدكتور (ناظم) ؟!

تنحنح (نور) فى شىء من الحرج ، قبل أن يجيب :

- الواقع يا سيدى الرئيس أن ما سأقوله مؤلم بالنسبة لى للغاية ، ولكن الواجب يحتم أن ...

قاطعه الوزير فى حزم :

- هات ما لديك يا (نور) .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم :

- سيادة الرئيس .. يؤسفنى أن كل الدلائل تؤكد أن القائد الأعلى والدكتور (ناظم) كانا يعلمان بكل ما حدث منذ البداية .

تطلع إليه الرئيس بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

- أعلم هذا .

هتف (نور) فى دهشة :

- تعلمه ؟!

أجابه الرئيس فى مرارة :

- نعم يا (نور) .. الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء ، ليدرك المرء أن الرجال الثلاثة اشتركوا فى هذه المؤامرة .. وجود الظلال الأسيرة ، فى مقر إدارة المخابرات العلمية ، والبيانات المشتركة ، التى كانت تصدر بتوقيع ثلاثتهم ، واجتماعهم طوال الوقت ، منذ انفجار فيلا الدكتور (وائل) .. كل شىء .

سأله (نور) فى دهشة :

- لماذا اكتفيتم بإلقاء القبض على وزير الدفاع إذن ؟!

أجابه الرئيس فى حزم :

- لأنه المسئول الوحيد عن الانقلاب العسكرى الفاشل .

قال (نور) فى توتر :

- الثلاثة خالفوا القانون والدستور يا سيادة الرئيس ، عندما اشتركوا فى حملة استعمارية ، ضد شعب آمن مسكين ، لم يؤذهم ، أو يحاول الإساءة إليهم .. والثلاثة خالفوا القانون والدستور ، عندما أجروا

تجارب سرية ، سعيًا وراء البحث عن قوة وهمية ، وأخفوا هذا عن القيادة السياسية ، ولم يتبعوا القنوات الشرعية والقواعد القانونية .. والثلاثة خالفوا القانون والدستور أيضًا ، عندما حاصروا مدينة (السادس من أكتوبر) ، وروّعوا الآمنين ، وأثاروا رعب وهلع المدنيين ، فى محاولة لإخفاء أخطائهم والتستر عليها .

قال الرئيس فى ضيق :

- (نور) .. كل ما حدث كان يحمل توقيع القوات المسلحة وحدها يا (نور) .

قال (نور) فى حزم :

- بل كان يحمل توقيع ثلاثتهم يا سيادة الرئيس .

توقف الرئيس عن السير ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يلتفت إليه ، قائلًا فى عصبية :

- هل تسعى للانتقام من الرجلين يا (نور) ؛ لأنهما أصدرا قرارًا بإعدامك ورفاقك ، عندما تعارض عملك مع أهدافهما ؟!

هز (نور) رأسه نفيًا فى حزم ، مجيبًا :

- مطلقًا يا سيادة الرئيس .. لقد حللت الموقف

بنفسى ، وأصبحت على يقين من أن ذلك القرار قد صدر من وزير الدفاع وحده ، ولا يمكن أن يصدر عنهما ، فالقائد الأعلى كان يكفيه أن يأمرنى بالعودة إلى (القاهرة) ، وكنت سأطيع أمره دون مناقشة ، كما ينبغى أن يفعل كل جندى مخلص .

سأله الرئيس فى ضيق :

- لماذا تسعى لإدانتهما إذن ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- لأنهما مدانان بالفعل يا سيادة الرئيس .

تطلع إليه الرئيس بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يربت على كتفه ، ويعاود السير ، وهو يقول :

- اسمعنى جيدًا يا (نور) .. كلانا يعلم أن الرجلين قد تورطا فى هذا الأمر بالفعل ، ولكن السؤال هو : هل كنا سنتورط فيه أيضًا ، لو أننا فى موضعهما ؟!

سأله (نور) متوترًا :

- هل تتصور نفسك متورطًا فى حملة استعمارية يا سيادة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس فى حسم :

- أى شخص يمكن أن يتورط فى هذا يا (نور) .. هل تعتقد أنه لو انعكس الأمر ، لما فعلت تلك الظلال ما فعلناه ؟!

توقف (نور) هذه المرة ، وهو يقول :

- ماذا تعنى يا سيادة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس ، وهو يشير بيده فى انفعال :

- أعنى أنه لو كانت تلك الظلال فى موضعنا ، وتوصلت إلى كشف يربطها بعالم أقل تقدمًا ، لسعت لاحتلاله وفرض سيطرتها عليه ، دون أدنى تردد أو تفكير .. بل إنه لن يدهشنى لو أنها قد تركت بيننا الآن جاسوسًا أو جاسوسين ، فى محاولة لدراستنا ، وإيجاد وسيلة للسيطرة علينا واحتلالنا فى المستقبل .

قال (نور) فى حزم :

- انتشار الخطأ لا يعنى استسلامنا له ، أو اعتباره أمرًا واقعًا يا سيادة الرئيس .. إنه سيظل إلى الأبد خطأ ، يستوجب المساءلة والعقاب .

قال الرئيس فى عصبية :

- شيوع الخطأ يضعه أحيانًا فى خانة الصواب .

هز (نور) رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

- ربما ينطبق هذا على خطأ لغوى شائع ، أو بعض العادات والتقاليد غير الصحيحة ، ولكن ليس على الخطأ والصواب بصفة عامة .

تطلع إليه الرئيس بضع لحظات أخرى ، ثم عاد يضع يده على كتفه ، ليعاودا السير معًا ، وهو يقول :

- هل تعلم ما الذى يمكن أن يحدث ، إذا ما أعلنا إدانة ثلاثة رجال بهذه القوة ، فى آن واحد ؟! كارثة يا (نور) .. مصيبة .. ستنهار هيبة الدولة دفعة واحدة .

قال (نور) فى دهشة :

- هيبة الدولة ؟! وما صلة عقاب المخطئين بهيبة الدولة يا سيادة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس فى اهتمام :

- أنت ما زلت صغيرًا يا (نور) ، ولم تتوغل فى دهاليز السياسة بعد ، وإذا ما حدث ذلك ، ستدرك أن الناس تتطلع إلى أصحاب المناصب والمراكز العلية بمهارة وانبهار ، ويتصورون أنهم ليسوا مجرد بشر عاديين ، بل أناس فوق مصاف البشر ، لا يمكن أن يخطئوا أبدًا ، وعندما تعلن فجأة أنهم قد ارتكبوا

أخطاء هائلة ، تستوجب المحاكمة والعقاب ، فإن هذا يحطم صورتهم المثالية فى أذهان العامة ، ويسقط هيبتهم ، وهيبة كل من يحتل مناصب شبيهة .. باختصار .. تسقط هيبة الدولة كلها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- هل تسمح لى بمخالفتك الرأى يا سيادة الرئيس ؟!

بدا الضيق على الرئيس ، وهو يقول :

- هات ما لديك يا (نور) .

توقف (نور) عن السير مرة أخرى ، وهو يقول فى حزم :

- الواقع يا سيدى أننا نختلف كثيرًا ، فى مفهوم هيبة الدولة هذه ، فالهيبة من وجهة نظرى ، وفى مفهومى الشخصى ، ليست فى إفلات الكبار من العقاب ، لأى سبب كان ، وإنما تتمثل الهيبة فى أمر أكثر بساطة وحسمًا .. فى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : والله لو أن (فاطمة) بنت محمد (صلى الله عليه وسلم) سرقت لقطعت يدها .. وفى حديثه هذا حذرنا من أن من قبلنا قد هلكوا ، لأنهم كانوا إذا سرق فيهم القوى تركوه ، وإذا سرق فيهم

الضعيف ، أقاموا عليه الحد .. هذا وحده يصنع هيبة الدولة يا سيادة الرئيس .. الهيبة الحقيقية ، التى تستقر فى النفوس ، وتنطبع فى الوجدان .. أن يدرك الجميع أنه لا أحد فوق القانون .. لا أحد يمكن أن يفلت من العقاب ، حتى ولو ...

بتر عبارته بغتة ، وتطلع إلى عينى الرئيس لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ حتى ولو كان رئيس الجمهورية نفسه .

التقت عيونهما بضع لحظات ، قبل أن يتمتم الرئيس بصوت خافت ، ولهجة تشف عن اقتناع حقيقى :

ـ أنت على حق يا (نور) .. على حق تمامًا .

ثم استدار يشير إلى أحد رجاله ، فهرع إليه بسرعة ، وسأله الرئيس فى حزم :

ـ هل تحمل جهاز الاتصال اللاسلكى ؟!

ناوله الرجل جهاز الاتصال فى سرعة ، قائلاً :

ـ ها هو ذا يا سيادة الرئيس .

تطلع الرئيس إلى (نور) مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ صلنى إذن برئيس الوزراء ، فهناك أمر اعتقال ، لا بد من إصداره فورًا .

وكان هذا يضع الأمور فى نصابها الحقيقى ، ويحسمها أيضًا ..

يحسمها تمامًا .

★ ★ ★



٩ - الختـــام ..

« أأنت مستعدة يا (نشوى) ؟! »

ألقى (نور) السؤال على ابنته فى اهتمام ، بعد مغيب الشمس ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ، فأجابته فى حسم ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر ، الذى يتصل بعصا إليكترونية نصف شفافة جديدة :

- نعم يا أبى .. مستعدة تمامًا .

ابتسم رئيس الجمهورية ، وهو يقول :

- دعينا نفعلها إذن .

تنهدت (نشوى) ، قائلة :

- على بركة الله .

وضغط الزر الأخير ..

وأمام عيون كل الحاضرين ..

وأمام كل سكان الحى الراقى ، دوت تلك الفرقعة المكتومة ..

ثم تألق قوس اللهب ، فى نفس الموضع ، الذى

كانت تحتله فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، والذى تم تمهيده وإعداده ، على نحو جيد للغاية ..

ووسط القوس المخيف ، بدا عالم الظلال واضحًا ..

ذلك العالم العاصف ، الذى تمتد ثلوجه المائلة للزرقة إلى مدى البصر ، حتى تلتقى بسمائه البنفسجية ، وشمسه الباردة الحمراء ..

وفى هذه المرة ، كانت الظلال متراصة على الجانبين ، على نحو أشبه بمراسم استقبال رسمية ..

ومن أعماق عالم الظلال انبعثت موسيقى منتظمة .. موسيقى بدائية ، تعتمد فى أساسها على الطبول وآلات الإيقاع ..

ومن جانبنا ، انطلقت موسيقى السلام الجمهورى ..

ووقف رئيس الجمهورية وملك عالم الظلال وجهًا لوجه ..

واحتبست أنفاس الجميع ، أمام ذلك المشهد الصامت المهيب ..

ثم حدث أمر بالغ الغرابة ..

لقد مد الظل الهائل يده إلى رئيس الجمهورية ..

وسرت موجة من التوتر ، فى أجساد رجال

الحراسة الخاصة للرئيس ، وتحفَّز بعضهم للدفاع عنه ، إذا ما حدث أمر غير متوقَّع ، و ...

ولكن الرئيس فهم ما تعنيه تلك اليد الممدودة ..

ومدّ يده بدوره ..

ولأوَّل مرة ، منذ بدأت تلك الأحداث الرهيبة ، تصافح بشرى وظلّ ..

ولقد شعر الرئيس بشىء من التوتر ، مع ذلك الملمس الهلامى العجيب ..

ولكن الجميع انطلقوا يصفقون فى حرارة ، وكأنما هزّ المشهد مشاعرهم ، وأشعل أحاسيسهم على نحو كبير ..

ثم استدار ملك الظلال ليواجه عالمه ، وتراصت الظلال الأخرى خلفه ...

وفى انسيابية ونعومة عبر الجميع الفجوة ، عائدين إلى عالمهم ، ثم التفتوا ليلقوا النظرة الأخيرة على عالمنا ..

وبابتسامة كبيرة ، لوَّح الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ الوداع .. أتعشَّم لو قدِّر لنا أن نلتقى مرة أخرى ، أن نلتقى كأصدقاء فحسب .

وفى هدوء ، عادت (نشوى) تضغط أزرار الكمبيوتر ..

وتألَّقت العصا الإليكترونية نصف الشفافة ثانية ..

ثم تلاشى قوس اللهب بغتة ..

واختفت الفجوة ..

واختفى معها عالم الظلال ..

إلى الأبد ..

وبزفرة ملتهبة ، هتفت (نشوى) :

ـ أخيرًا ..

ثم نهضت تجمع أدواتها ، مستطردة فى حرارة :

ـ لم أتصوَّر قط أن هذا الأمر يمكن أن ينتهى .

غمغم (نور) فى شرود :

ـ لكل شىء نهاية يا (نشوى) .

غمغمت ، وهى تعيد كل أدواتها إلى حقيبتها الوردية :

ـ بالتأكيد .

ثم التفتت إليه ، وارتفع حاجباها فى دهشة ، قبل أن تسأله :

ـ أبى .. أين أنت ؟!

استدار إليها ، مجيبًا بنفس الشرود :

ـ أنا هنا يا (نشوى) .

هتفت :

ـ بل أقصد أين عقلك ؟! لقد بدوت لى شاردًا للغاية ! فيم كنت تفكر ؟

واصل شروده لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ فى عبارة عرضية ، نطق بها سيادة الرئيس .

سألته فى فضول :

ـ أية عبارة ؟

سألها فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين أنه من الممكن أن تترك الظلال جاسوسًا خلفها ؟!

انعقد حاجباها فى اهتمام ، وهى تقول :

ـ ولماذا ؟! إنها تعلم أننا لن نحاول فتح تلك الفجوة ثانية أبدًا .

تنهد (نور) ، مغمغمًا :

ـ نعم .. إنها تعلم هذا .

قالها ، وأحاط كتفى ابنته بذراعه ، واتجها معًا إلى سيارته ..

ومن بعيد ، تابعهما أحد رجال طاقم الحراسة الخاصة بالرئيس ببصره فى اهتمام ، حتى استقلا سيارتهما ، فتمتم فى خفوت :

ـ كل شىء يسير على ما يرام .

وعندما استدار ، ليلحق بركب الرئيس ، كانت شفتاه تحملان ابتسامة كبيرة ..

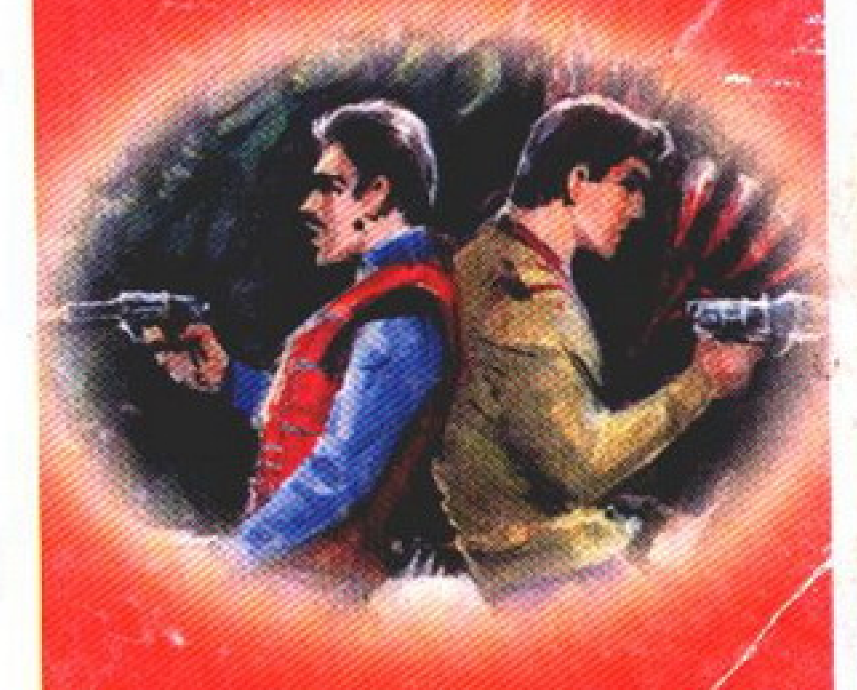
وكانت عيناه تتوهجان ببريق أحمر .. مخيف .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

الغـزاة

- ما مصـيـر (نور) وفـريقـه ، بعـد أن انفـتحـت الفـجـوة ، بين عـالمنا وعـالم الظلال ؟!
- هل تنجح المؤامرة ، ويتحقق غزو عالمنا ، دون رحمة أو هوادة ؟!
- ترى من ينتصر هذه المرة ، ومن يحمل عن جدارة لقب .. (الغزاة) ؟!
- اقرا التـفـاصـيل المثـيـرة ، وقـاتل مـع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم : كرة النار



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

124

الثمن فى مصـر ٢٠٠ مـ
ومايعـادله بالدولار الأمـريكى فى سائر الدول العربية والعالم

